لغز عصابة التزييف



محمود سالم

لغز عصابة التزييف

تأليف
محمود سالم



لغز عصابة التزييف

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ‎+ ٤٤ (٠) ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: أحمد رحمي

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٢٤٧١ ٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٣.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢١.

المحتويات

ذكريات ... ومعلومات

أخرج المفتش «سامي» من جيبه محفظته ... ثم مدَّ يده وأخرج منها ورقة نقد من فئة الجنيهات العشرة، ومدَّ يده بها إلى «لوزة» قائلًا: خذي هذه.

ابتسمَت «لوزة» وهي تمد يدها مُتردِّدة، ثم سألَت المفتش: لماذا؟ إنه مبلغ كبير لا أستحقه. قال المفتش: إنكِ تستحقين أكثر منه مئات المرَّات ... فقد ساعدتِ العدالة كثيرًا ... وإننا فعلًا نَعجز عن أن ندفع لكِ كل ما تستحقين.

قال «عاطف» مبتسمًا: وأنا ... أظن أني أستحق بعض المكافأة أيضًا ... وبخاصةٍ إذا كانَت الأرقام بالآلاف.

قام المفتش وهو يُبادله الابتسام: إنكم جميعًا تستحقون الكثير ... ولكن الذين يعملون من أجل الحق والخير، لا ينتظرون فائدةً من ورائهما.

كانوا يجلسون في حديقة منزل «عاطف» في «الكشك» الخشبي ... وكان المفتش «سامي» قد اتصل بهم وطلب مقابلتهم في أقرب فرصة ... وكان «تختخ» يشرب كوب الليمون المثلَّج مُتمهِّلًا، و«محب» يُداعب «زنجر»، و«نوسة» تنظر من خلال الباب إلى الحديقة الجميلة في انتظار حديث المفتش «سامي».

قالَت «لوزة» وهي تُمسك بورقة النقد: إنني أشك في أنك تأتي هنا وتطلب مقابلتَنا لمجرَّد أن تُعطيني هذه الورقة الجديدة الظريفة!

المفتش: هكذا أنتِ يا «لوزة» ... لا بد أن تجدي شيئًا خفيًّا خلف كل حديث ... وعلى كل حالٍ فإن ما تقولينه صحيح ... تأمَّلي الورقة التي في يدك، ثم قولي لي رأيكِ فيها ...

لوزة: أي رأي؟ ... إنها كما أرى ورقة جديدة لامعة من ذات الجنيهات العشرة!

المفتش: أعطيها لـ «عاطف».

وتناول «عاطف» الورقة وأخذ يتأمَّلها لحظات، ثم قال: منظر جميل … يستحق أن يراه الإنسان كل يوم عشر مرات …

وضحك الأصدقاء، وأخذَت «نوسة» ورقة النقد تتأمَّلها، ثم قالَت: هذه الورقة وراءها سر!

المفتش: تمامًا …

نوسة: إن رقمها هو ١٥٥٩٥، فهل السر في الرقم؟

المفتش: ربما.

وتناول «محب» الورقة وأخذ يقلبها ويرفعها في الضوء المتسلِّل إلى الكشك من الخارج، ثم قال: إنها …

وقبل أن يُتم جملته قال «تختخ» وهو يُبعد كوب الليمون عن فمه: إنها ورقة ليسَت لها قيمة على الإطلاق … فهي ورقة مُزيَّفة!

التفت الأصدقاء إلى «تختخ»، أمَّا المفتش فابتسم قائلًا: تمامًا … كيف عرفتَ بدون أن تنظر إليها؟

تختخ: لأننا منذ شهور قليلة أوقعنا عصابةً لتزييف النقود … ألَا تذكرون لغز الفهود السبعة؟ … ألم تكن العصابة تُزيِّف النقود من فئة الجنيهات العشرة؟

صاحت «لوزة»: كيف نسيتُ أنا هذا؟!

نوسة: أنا لم أنسَ … ولكنني تصوَّرتُ أن حكايتها انتهَت، وليس ثمَّة جديد يمكن أن يُضاف!

تنهَّد المفتش وهو يقول: للأسف، إن العصابة قد استأنفَت نشاطها من جديد؛ فأنتم تذكرون أن زعيم العصابة وأحد أعوانه استطاعا الفرار ليلة أن حاصرنا العصابة في «الفيلا» القديمة …

أضاف «تختخ»: وكان مع زعيم العصابة حقيبة صغيرة بها «الكليشيهات» التي يَتِم طبع النقود عليها …

المفتش: بالضبط … لقد حصلنا على كل النقود التي زيَّفوها في المرة الأولى … ولكن النقود المزيَّفة بدأَت تظهر من جديد!

لوزة: ولكن هذه الورقة صحيحة تمامًا!

محب: فعلًا!

عاطف: إنها متقنة للغاية!

المفتش: فعلًا ... إنها مُزيَّفة بطريقةٍ لا يمكن كشفها إلا للخبراء ... وبالصدفة وصلَت هذه الورقة إلى البنك الأهلي، وشكَّ فيها أحد الصرَّافين ... وعرف الخبراء أنها مُزيَّفة ... وقد استجوبنا الرجل الذي كانَت معه ... ولكنه كان بريئًا ... فهو تاجر من «بني سويف»، وقد قبضها من شخصٍ آخر في السوق ضمن ثمن لماشية باعها ... ونحن الآن نبحث عن الشخص الذي أعطاها إياه ... ولكن ذلك في النهاية قد لا يُؤدِّي إلى شيء!

لوزة: آسفة لمقاطعتك يا حضرة المفتش ... ولكن ما معنى «كليشيه»؟

المفتش: إنه القالب الذي يَتم عليه الطبع ... فأي مادة مطبوعة تُحضَّر أولًا على نوعٍ من الزنك أو النحاس، ثم يوضع عليها الحبر، ثم تُطبع على الورق ... وهذا القالب الزنك أو النحاس اسمه «كليشيه».

تختخ: ولكن كيف اكتشف الخبراء التزييف؟ أو ما هو الشيء المزيَّف في هذه الورقة؟

المفتش: شيئان؛ الأول الأرقام، والثاني الورق ... فرقم هذه الورقة مثلًا موجود مثله على ورقة غير مُزيَّفة ... والورق فيه اختلاف طفيف جدًّا لا يَلتفت إليه الشخص العادي، ولكن يُميِّزه الخبراء ...

وسكت المفتش لحظات، ثم قال: إنكَ يا «توفيق» الشخص الوحيد فينا الذي شاهد زعيم العصابة ومساعده، وقد جئتُ إليك لأستمع مرةً أُخرى إلى وصفك لهما.

سرح «تختخ» لحظات، ثم قال: كما تذكرون ... لقد شاهدتُهما على مسافة تبلغ نحو عشرة أمتار، وأنا مختفٍ خلف جدار الدهليز الطويل ... وكانا يعملان مع بقية العصابة. والزعيم كما قلتُ قبلًا قصير القامة، أسمر اللون ... سمين مثلي ... شعره أسود مُجعَّد، وشاربه رفيع ... أمَّا الثاني فطويل نحيف، ترتفع كتفه اليسرى عن كتفه اليمنى قليلًا ... وكان في ذلك الوقت يضع قطعةً من المشمع على جرحٍ في وجهه ...

المفتش: وأين كانَت قطعة المشمع؟

تختخ: كانَت تحت عينه اليسرى.

المفتش: وعمرهما؟

تختخ: الزعيم في الخمسين تقريبًا ... أمَّا الثاني فربما كان في الخامسة والأربعين أو نحو ذلك.

كان المفتش يكتب المعلومات بسرعة في «نوتة» صغيرةٍ أخرجها من جيبه، ثم شرب آخر رشفة في كوب الليمون، وقال: أترككم الآن، وشكرًا لكم لمعاونتي.

لوزة: ولكن كيف نشترك في هذا اللغز؟

ابتسم المفتش قائلًا: أين هو اللغز؟ ليس هناك لغز على الإطلاق ... إنهما رجلان يعملان بالتزييف ... ونحن نعرف أوصافهما ... وسنُطاردهما حتى نقبض عليهما، وعلى من يكون قد انضمَّ إليهما!

تختخ: هناك رجاء يا سيادة المفتش ... أن تُوافينا بكل ما يصلك من معلومات عن هذه العصابة ... لعلنا نجد طريقةً لُشاركتكم في مطاردتها.

المفتش: طبعًا ... وإن كنتُ أتوقَّع ألَّا تُتاح لكم هذه الفرصة ... فهم طبعًا لن يعودوا إلى المعادي مطلقًا.

لوزة: لقد اشتركنا في ألغاز وقعَت بعيدًا جدًّا عن المعادي ... في «إيطاليا» ... مثلًا ... وفي «أسوان» ... وفي الإسكندرية ... أرجوك ألَّا تنسانا ...

المفتش: أَعِد بذلك ...

مشى الأصدقاء مع صديقهم المفتش حتى باب الحديقة، حيث ركب سيارةً وانطلق بها مبتعدًا، ثم عادوا إلى «الكشك» مرةً أخرى ... وأخذوا يتسلَّون بلعب الشطرنج ... هذه الهواية التي أحبوها منذ اشتركوا في حل لغز «ملك الشطرنج»، وهو من أعقد الألغاز التي مرَّت بهم ...

قالَت «نوسة» وهي تُشاهد مباراة الشطرنج بين «محب» و«تختخ»: هل ظهور ورقة النقد في «بني سويف» يدل على شيء؟

لم يردَّ «تختخ»؛ فقد كان مشغولًا باللعب، فعادَت «نوسة» تُكرِّر سؤالها، فالتفتَ إليها «تختخ» قائلًا: ممكن أن يدل على أن العصابة تُمارس نشاطها هناك ... وممكن أن تكون الورقة قد انتقلَت من «القاهرة»، أو من أي بلدٍ آخر إلى «بني سويف».

استكمل «عاطف» الحديث قائلًا: إن متابعة ورقة نقد مسألة غير ممكنة ... إنها تُشبه متابعة ذرَّةٍ في الهواء ... تَصوَّري مثلًا أن هذه الورقة قبضها مُوظَّف ضمن مرتبه في «القاهرة» ... وكان عليه أن يدفع إيجار بيته ... أخذها صاحب البيت فأعطاها زوجته التي نزلَت فاشترَت مثلًا منها ملابس من محلٍّ في شارع «قصر النيل»، أخذها صاحب المحل وأودعها البنك ضمن بقية نقوده، وصرفها البنك لرجل من «أسوان» ... صرف شيكًا ... وأخذها هذا وسافر إلى «أسوان»، ثم دفعها وحدها أو مع غيرها ثمنًا لشراء بضاعة ... وأخذها صاحب البضاعة وسافر إلى «أسيوط» لزيارة أسرته ... وأعطاها والدته مثلًا التي أعطَتها أختها المسافرة إلى «القاهرة» ... وهذه دفعَت منها ثمن تذاكر السفر ... وأخذها مُوظَّف السكة الحديد وأرسلها ضمن الإيراد إلى خزينة المحافظة ... وصرفَتها المحافظة ...

هنا صاح «محب»: أرجوك! ... لقد صدَّعتني بهذه الحكاية المزعجة ... إنكَ تستطيع أن تظل شهرًا ترغي دون أن تنهي القصة ...

عاطف: إني لم أقل بعدُ إن نشَّالًا سرقها من جيب شخص في «الأوتوبيس»، ثم قبض عليه رجال الشرطة ...

محب: أرجوك مرةً أخرى ... إننا معترفون بأنك تستطيع أن تروي ألف قصة عن هذه الورقة، ولكن ذلك لن يحل شيئًا ... فصمتًا حتى ننتهي من هذا الدور!

وفجأةً ترك «تختخ» رقعة الشطرنج ووقف، ثم قال: فلْتصمتوا جميعًا ... أُريد أن أسألكم سؤالًا!

وصمت الجميع والتفتوا إلى «تختخ» ... الذي قال: ما الذي يجعل كتف شخص ترتفع عن الكتف الأخرى؟

بدأَت العيون تلمع، والرءوس تهتز، حتى «زنجر» هزَّ ذيله كأنما يستعد هو الآخر للاشتراك في الحديث ... ومضَت دقائق، ثم قال «محب»: من الممكن أن يكون قد أُصيب في حادث مثلًا ... ولم تعَد كتفه المصابة ترتفع إلى مستوى الكتف الأخرى.

تختخ: هذا ممكن.

نوسة: من الممكن أن يكون ذلك بسبب نوع العمل الذي يُؤدِّيه؛ فكلنا نعرف أن نوع العمل يمكن أن يُؤثِّر في جسم الشخص ... كأن نجد يد صانع الأحذية خشنةً للغاية ... أو سيقان لاعب الكرة ضخمة ... أو ظهر بائع العرقسوس مرتدًّا إلى الخلف!

تختخ: معقول جدًّا!

عاطف: ومن الممكن أن تكون كتفه مرتفعةً لأنه مُتعالٍ ... أعني أنه متظاهر بالعظمة والنفخة الكذابة ... فبعض الناس يَسيرون بطريقة مُعيَّنة حتى يَتصوَّر الآخرون أنهم عظماء أو مُهِمُّون ... ومن ذلك أن يرفع الإنسان إحدى كتفَيه ويخفض الأخرى؟

لوزة: إذن فهذا مُزيِّف كان يرفع كتفه على سبيل النفخة الكذابة!

تختخ: دعونا من الهزار الآن ... إنني مُتفق مع «محب» و«نوسة» ... ولكن إذا لم يكن في إمكاننا التحقُّق من أن الرجل أُصيب في حادث، فما هي المهنة التي تجعل كتف الشخص ترتفع ... كتفه اليسرى بالذات؟!

نوسة: تعالَوا نستعرض مختلِف المهن.

في تلك اللحظة حضرَت «الشغَّالة» وقالَت: إن هناك مكالمةً تليفونيةً من المفتش «سامي» للأستاذ «توفيق» ... ثم وضعَت جهاز التليفون في «الفيشة» التي ب «الكشك».

أسرع «تختخ» ... للرد على المفتش، قال المفتش: عندما عُدتُ إلى مكتبي منذ دقائق قليلةٍ وجدتُ تقريرًا خطيرًا في انتظاري ... كنتُ قد أرسلتُ بعض رجالي إلى «بني سويف» للتحرِّي عن الرجل الذي أعطى التاجر الورقة ذات الجنيهات العشرة ... لقد عثروا على الرجل ... وبسؤاله قال إنه قبض مبلغًا من المال كله من فئة الجنيهات العشرة من محل بقالة قريب من المحطة. وعندما ذهب رجالي إلى تاجر البقالة وجدوه قد أغلق محلَّه في ذلك اليوم دون سببٍ واضح، ولم يظهر حتى الآن!

تختخ: إنه مفتاح للوصول إلى العصابة!

المفتش: نعم ... لو استطعنا العثور عليه ... ولكني أتوقَّع ألَّا يظهر مطلقًا ... والمهم الآن أن كميات كبيرةً من النقود المزيَّفة قد وُزِّعَت عن طريق هذا البقال، وهذه مشكلة.

تختخ: شكرًا على إبلاغنا بهذه المعلومات.

المفتش: حاوِلوا أن تُفكِّروا جيِّدًا ... لماذا ظهرَت النقود في «بني سويف»؟

رحلة على غير انتظار

التفتَ «تختخ» إلى الأصدقاء قائلًا: يبدو أن اللغز سيُصبح مثيرًا … لقد عرفوا مصدر النقود المزيَّفة … إن مُروِّج هذه النقود بقال قرب محطة سكة حديد «بني سويف»!

محب: وهل قبضوا عليه؟

تختخ: لا … لقد أغلق محلَّه واختفى! والسؤال الآن … لماذا «بني سويف»؟! إن من عادة مُزيِّفي النقود أن يعملوا في المدن الكبيرة مثل «القاهرة» … حيث يصعب تتبُّعهم … أمَّا في المدن الصغيرة فمن السهل اكتشافهم.

لوزة: لعل العصابة تُزيِّف النقود في «القاهرة» … ثم تُروِّجها خارج «القاهرة».

تختخ: هذا ممكن، ولكن لماذا في «بني سويف»؟!

محب: مجرَّد صدفة … فمن الممكن أن يُروِّجوها في أي مكان.

عاطف: شيء متعب … لماذا يذهبون بعيدًا هكذا؟! ألم يكن من الأفضل أن يُروِّجوها في «المعادي» ليكونوا قريبين منا؟

ابتسم الأصدقاء، وقالَت «نوسة»: على كل حال يمكنك البحث عنهم في «المعادي» … كالنكتة القديمة التي تقول إن شخصًا فقد قرشًا في شارع مُظلم … فذهب يبحث عنه في شارع آخر مضاء!

محب: لقد كنا نتحدَّث عن مُساعد زعيم العصابة … ذلك الرجل ذي الكتف اليسرى المرتفعة … وكنا نتساءل … ماذا يجعل كتف شخص ترتفع عن الأخرى؟ … أو ما هي المهنة التي تُؤدِّي إلى هذا؟

نوسة: لا أدري لماذا أرى هذا الطريق عقيمًا؛ فما الفائدة إذا عرفنا ماذا يشتغل؟ … هل يُؤدِّي هذا إلى القبض عليه؟!

عاطف: سيُقرِّب لنا معرفته.

نوسة: لا أعتقد … فلو فرضنا مثلًا أن عرفنا أنه يشتغل مهندسًا أو ملاكمًا … أو طبيبًا … فهل يعني هذا أننا وصلنا إليه؟ … إن في بلادنا آلاف المهندسين والملاكمين والأطباء … فكيف نعرفه من بينهم؟

تختخ: إن هذا هو الخيط الوحيد الذي نعرفه ويمكن أن نسير خلفه يا «نوسة».

نوسة: إنه خيط، أوهى من خيط العنكبوت … ولا أجد له أية فائدة!

قالَت «لوزة» في إحدى شطحاتها المفاجئة: إنني أُفكِّر في شيء … أُفكِّر في أن تكون مكنة التزييف في محل البقالة … نعم لماذا لا تكون فيه؟ إن أي محل بقالة له مخزن في الغالب … وفي هذا المخزن يمكن أن يضعوا مكنة تزييف النقود … ويمكن أن يقوموا بطبع النقود بدون أن يُحس بهم أحد … في ضجة دخول القطارات وخروجها من المحطة …

كان كلام «لوزة» معقولًا … وقال «تختخ» متأمِّلًا: إن فكرة وضع المطبعة قرب السكة الحديد معقولة جدًّا؛ فضجة القطارات يمكن أن تُغطِّي على صوت المكنة وهي تدور … إنني سأتصل بالمفتش «سامي» الآن وأطلب منه تفتيش محل البقالة.

واتجه «تختخ» إلى التليفون … ووضع يده على السمَّاعة … وقبل أن يرفعها دقَّ الجرس وكان المتحدِّث — لدهشة «تختخ» الشديدة — هو المفتش «سامي»، وقال «تختخ»: لقد كِدتُ أتصل بك الآن!

المفتش: لماذا؟ … هل توصَّلتُم إلى شيء؟

تختخ: نعم … إن «لوزة» لها وجهة نظر معقولة جدًّا.

ثم شرح «تختخ» للمفتش فكرة «لوزة»، ولكن المفتش قال: إنها فكرة معقولة حقًّا … ولكننا فتَّشنا المحل فعلًا، ولم يكن هناك أثر لمطبعة أو أي شيء يمكن أن يُفيدنا في البحث عن زعيم العصابة وشركائه.

كان «تختخ» ينظر إلى «لوزة» وهو يستمع إلى المفتش … وهزَّ رأسه، ففهمَت «لوزة» أن فكرتها … وإن كانَت معقولة … إلا أنها لم تُؤدِّ إلى شيء …

قال «تختخ» للمفتش: وهل ثمَّة جديد عندكم؟

المفتش: نعم … لقد اتصلتُ لأقول لكَ إن النقود المزيَّفة ظهرَت في «المنيا».

تختخ: في «المنيا»؟

المفتش: نعم … ولعلك تُلاحظ أنها المحطة التالية بعد «بني سويف» في خط السكة الحديد!

تختخ: طبعًا … إنها ملاحظة هامَّة فعلًا.

المفتش: هل يوحي لكَ هذا بشيء؟

تختخ: سنُفكِّر أنا والأصدقاء.

المفتش: من المحتمل أن هناك شخصًا يركب قطارًا ويُوزِّع هذه النقود على مراكز توزيع مُعيَّنة في المحطات.

تختخ: وهل تتبَّعتُم مصدر النقود كما تمَّ في «بني سويف»؟

المفتش: ما زلنا نُحاول … فقد وصلني التقرير منذ دقائق قليلة … ولا أدري ماذا يحدث هناك.

تختخ: إن أمر هذه العصابة مُحيِّر … لكن المعلومات الآن أكثر من ذي قبل … وسوف نجد شيئًا … ولكن هل النقود المزيَّفة التي وُجدَت في «المنيا» من النوع نفسه الذي وُجد في «بني سويف» … ومن النوع نفسه الذي ضبطناه في «المعادي»؟

المفتش: نعم … النوع نفسه … التزييف المتقن نفسه … هل هناك أسئلة أخرى؟

تختخ: مؤقَّتًا لا … ولكن قد نتصل بسيادتك بعد فترة.

المفتش: في الأغلب سوف أُسافر إلى «المنيا» … وإذا جدَّ جديد فسأتصل بكم من هناك.

تختخ: أرجو ألَّا تتأخَّر إذن … فقد يخطر ببالنا شيء.

ووضع «تختخ» السمَّاعة … وروى للأصدقاء الذين كانوا يُنصتون إلى المحادثة ما قاله المفتش «سامي» … ولم يكَد «تختخ» يفرغ من كلامه حتى قالَت «لوزة»: إنني أتوقَّع أن تظهر النقود في المحطات التالية.

تختخ: ممكن جدًّا.

نوسة: إن بعد «المنيا» … «أسيوط» … و«الأقصر» و«سوهاج» و«أسوان» … فإذا كانَت العصابة تُوزِّع نقودها المزيَّفة على المحطات … فلا بد أن تكون المحطة التالية هي «أسيوط».

تختخ: ليتني لفَتُّ نظر المفتش «سامي» إلى هذه الحقيقة!

عاطف: إنها ليسَت نقطةً غامضة … والمفتش رجل ذكي جدًّا … وبالطبع سوف يتنبَّه لهذه الحقيقة.

لوزة: للأسف يبدو أن دورنا في هذا اللغز لن يزيد على الجلوس هنا والحديث عن نشاط العصابة ونشاط رجال الشرطة، وهي جلسة ثقيلة ومُملة …

وافق الأصدقاء على ما قالَته «لوزة» بهز رءوسهم … ولكن الأمور لم تسرِ كما تصوَّروا؛ فقد دقَّ جرس التليفون مرةً ثالثة، وكان المتحدِّث هو المفتش الذي قال لـ «تختخ»: لقد

قبض رجالنا على شخص في «المنيا» وأوصافه تُشبه أوصاف زعيم العصابة ... ولأنك الشخص الوحيد الذي رآه فإني أُريدك أن تأتي معي الآن إلى «المنيا» ... وسيقوم قطار من محطة «القاهرة» بعد ساعة ... فقابلني هناك.

تختخ: هل أستطيع إحضار الأصدقاء معي؟

وأخذ الأصدقاء ينظرون إلى «تختخ» وهو يتلقَّى ردَّ المفتش بهزِّ رأسه ... ثم قال «تختخ»: فهمت ... بعد ساعة على المحطة.

ووضع «تختخ» السمَّاعة وقال: آسف جدًّا ... لم يُوافق المفتش على حضوركم جميعًا ... لقد وافق على حضور «محب» فقط معي ... وقال إن وجودكم جميعًا سيُربك تحرُّكاتنا ... بالإضافة إلى أن الجو حار جدًّا الآن في الصعيد، وهو يخشى عليكم من ضربة الشمس.

لوزة: وهل الشمس تضرب أيضًا؟

تختخ: عندما يتعرَّض إنسان لشمس قوية مُدةً طويلة؛ يُصاب بدوار شديد، وترتفع درجة حرارته، ويُسمَّى ذلك ضربة شمس ... على كل حال إذا وجدتُ الأمور تسير على ما يرام ... وكان هو زعيم العصابة، فلن يكون لحضوركم فائدة ... أمَّا إذا كانَت المغامرة ما زالَت مستمرَّة؛ فقد أُرسل إليكم، أو أتحدَّث إليكم تليفونيًّا لتحضروا ... هيا يا «محب».

وأسرع الصديقان كلٌّ إلى منزله، وجهَّز كلٌّ منهما حقيبةً صغيرةً بها ملابس إضافية، ومعجون، وفرشاة الأسنان، ثم انطلقا إلى محطة «القاهرة» ... كان المفتش في انتظارهما مع أحد رجاله الذي قدَّمه لهما باسم الضابط «نبيل» ... وسرعان ما كان الأربعة يجلسون في أحد «صالونات» الدرجة الأولى في القطار المتجه إلى الصعيد.

وقال «تختخ»: لقد خطر لنا بعد مكالمتك أن ظهور النقود المزيَّفة في «بني سويف» ثم في محطة «المنيا»، معناه أن العصابة تُوزِّع نُقودها بانتظامٍ على محطَّات الصعيد ... وكنا نرى أن تضعوا كمينًا على محطة «أسيوط» وهي المحطة التالية بعد «المنيا» ... فلعلكم تقبضون على العصابة.

قال المفتش مبتسمًا: لقد فعلنا ذلك بالضبط ... بل إننا وضعنا كمائن على جميع المحطات التالية.

تختخ: وما هي أوصاف الرجل الذي قبضتُم عليه؟

المفتش: ليسَت هناك أوصاف دقيقة ... فقد كانَت مكالمةً تليفونيةً سريعة ... ولكن بعض هذه الأوصاف تتشابه مع الأوصاف التي رويتَها عن زعيم العصابة ... فلعله يكون هو.

تختخ: إن اللغز يُحَل بسرعة حقًّا لو تبيَّن أنه هو.

وصمت الأربعة ... واستغرق كلٌّ منهم في خواطره ... وكان «تختخ» يستمع إلى دقات العجلات على القضبان ... ويتذكَّر قول «لوزة» إن مطبعة التزييف يمكن أن تكون قرب المحطة ... فصوتها سيختفي في ضجيج القطارات الداخلة إلى المحطة والخارجة منها ... ولكن تفتيش المحل القريب من محطة «بني سويف» لم يؤدِّ إلى العثور على المطبعة ... فهل هي في «المنيا»؟ ... ربما.

وكان «محب» يُفكِّر هو الآخر ... في الشيء المُعيَّن الذي يربط بين ظهور النقود في «بني سويف»، ثم في «المنيا»، هل القطار يمكن أن يكون هو أو يكون شيئًا آخر؟!

كان «محب» يجلس بجوار النافذة فألقى ببصره إلى الخارج ... كان «الإكسبريس» يقطع الطريق كالبرق ... والأشجار وأعمدة التليفونات تظهر وتختفي كالأشباح الهاربة، وصوت القطار على القضبان يدق بانتظام ورتابة ... واستسلم «محب» لخواطره وكأنه يستسلم للنوم، لولا أن صوت المفتش أيقظه وهو يقول: «محب»، هيا نتناول الغداء.

وقاموا جميعًا إلى عربة الطعام ... وجلسوا يتناولون غداءهم ويتحدَّثون ... كان «تختخ» ينظر إلى الركاب الذين ملئوا عربة الطعام وهو يُدقِّق البصر فيهم ... كان يُفكِّر: هل يمكن أن يركب أحد أفراد العصابة القطار معهم؟ ... رجل يُوزِّع النقود المزيَّفة على المحطات ... وقرَّر «تختخ» شيئًا لم يقُل لأحد عليه ... ثم انهمك في تناول طعامه ... وعندما انتهَوا من تناول الطعام قال «تختخ»: أترككم الآن؛ فقد نويتُ أن أمر بالقطار من أوله إلى آخره؛ فإنني أُحب رؤية الناس.

مضى «تختخ» يقطع القطار ... كان يمشي بين المقاعد وهو ينظر إلى الوجوه جيدًا ... إنه يتوقَّع أن يجد شيئًا ... فكرة ما خطرَت بباله، ربما كانَت نتيجتها مُهمَّةً جدًّا في هذه المغامرة.

ولكن تفتيشه لم يُسفر عن شيء ... لقد دقَّق في كل وجه ... ولاحظ كل إنسان، ولكنه في النهاية عاد إلى مقعده، وهو في غاية التعب دون أن يصل إلى شيء ممَّا دار في رأسه ...

كان القطار يقترب من «المنيا» ... ولم تبقَ سوى دقائق ويقف ... بدأ الأربعة يقفون ويحملون حقائبهم ... وعندما وقف القطار تمامًا نزلوا إلى المحطة ... وصاح «محب»: يا لها من حرارة! ... إن التكييف في القطار أنساني كم هو حار نهار الصيف في الصعيد ...

كان في انتظارهم أحد الضبَّاط الذي رفع يده بالتحية إلى المفتش، ثم ركبوا إحدى سيارات الشرطة إلى مبنى مديرية الأمن في «المنيا» ... وعندما وقفَت السيارة دقَّ قلب

«تختخ» سريعًا ... فبعد لحظات سيُواجه الرجل الذي قبضوا عليه ومعه النقود المزيَّفة ... فهل هو زعيم العصابة؟

ودخل المفتش مسرعًا إلى المبنى وهم خلفه، ثم دخل إحدى الحجرات حيث كان بعض الضباط ورجال المباحث يجلسون، ودخل «تختخ» ... و«محب» ... خلفه، وأشار المفتش إلى «تختخ» قائلًا: هذا هو الشخص الوحيد الذي شاهد رئيس عصابة التزييف ... ولعله الرجل الذي قبضتُم عليه ... فهناك تشابه بين أوصاف الرجلَين.

وجلس «تختخ» ... وفُتح باب جانبي، ودخل رجل منه، ونظر إليهم جميعًا ... وكانوا جميعًا ينظرون إلى «تختخ» في انتظار ما سيقوله ...

كرباج ورا

نظر «تختخ» إلى الرجل ... لا ... ليس هو زعيم العصابة ... صحيح أن هناك تَشابهًا واضحًا بينهما ... ولكنه ليس هو ... ونظر «تختخ» إلى المفتش، وهزَّ رأسه يمينًا ويسارًا، وأدرك المفتش أنه يقول له: لا ...

جلس الرجل أمام المفتش ... لم يكن يبدو عليه أي ارتباك ... وسأله المفتش: ألَا تُريد أن تقول لنا من أين حصلتَ على هذه النقود المزيَّفة؟

وردَّ الرجل: لقد قلتُ من قبلُ إنني لا أعرف مصدرها ... إنني تاجر قطن، وتجار القطن يتعاملون بألوف الجنيهات، وقد وصلَت هذه النقود إليَّ ضمن مبلغ قبضتُه ثمنًا لكمية من القطن بعتها.

المفتش: من شخصٍ واحد؟

الرجل: بل من عدة أشخاص.

المفتش: ألَا تذكر من الذي أعطاك هذه النقود بالذات؟

الرجل: مطلقًا!

كان «تختخ» يرقب الرجل ويفحصه وهو يتحدَّث ... لقد كان ثابتًا حقًّا، ولكن «تختخ» لاحظ أن إحدى قدمَيه تهتز بعصبية ... هل هذا دليل على شيء؟ قد يكون دليلًا أو لا يكون ... فالشخص البريء إذا دخل قسمًا للشرطة فكثيرًا ما يرتبك وتثور أعصابه ...

لم يكن أمام المفتش إلا أن يُخلي سبيل الرجل بعد أن سجَّل اسمه وعنوانه، ثم التفتَ إلى «تختخ» قائلًا: آسف ... لقد كانَت رحلتُك بلا فائدة.

ابتسم «تختخ» قائلًا: من يدري؟ ... لعل فائدتَها تكون أكبر ممَّا تتوقَّع.

المفتش: سأقوم باستيفاء بعض الأوراق لفترة ساعة تقريبًا، وسوف أعود إلى «القاهرة» ... هل تعودان معي؟

نظر «تختخ» إلى «محب» فقال: طبعًا … فلم يعُد لنا هنا ما نفعله.

تختخ: في هذه الحالة سنخرج للمشي على كورنيش النيل … فهم يقولون إن الكورنيش في «المنيا» من أجمل ما يكون …

المفتش: لا بأس، وسأكون في انتظاركما بعد ساعة.

وخرج الصديقان … كانَت أول مرة يزوران فيها «المنيا»، فسألا عن طريق الكورنيش … وسارا يُحاولان الاحتماء بالظل من الشمس القاسية … ووصلا إلى «كازينو» جميل ذكَّرهما بـ «الكازينو» الجميل المطل على النيل في مدخل «المعادي»، فجلسا يتحدَّثان عن النقود المزيَّفة والعصابة … وبعد أن تناولا مشروبًا مثلجًا نظر «محب» إلى ساعته وقال: بقيَت ربع ساعة على موعدنا مع المفتش، فهيا بنا.

وقاما يسيران على الكورنيش مرةً أخرى، ولكن فجأةً نظر «محب» إلى رجل يسير مسرعًا على الجانب الآخر نظرةً فاحصةً كانَت كافيةً لتغيير مصير رحلتهما إلى «المنيا»؛ فقد أمسك «محب» بذراع «تختخ» وقال: انظر إلى هذا الرجل يا «تختخ»! نظر «تختخ» إلى حيث أشار «محب»، فشاهد الرجل الذي كان بقسم الشرطة … وقال «محب»: أليس هو «يوسف» الذي استجوبه المفتش أمامنا؟

ردَّ «تختخ»: نعم … إنه هو … ولكن ما أشدَّ ما تغيَّر … لقد خلع ثيابه البلدية وارتدى البدلة … لقد أصبح شخصًا آخر! …

محب: وهل يدل هذا على شيء بالنسبة لك؟

تختخ: ربما، هيَّا بنا نتبعه.

وأسرع الصديقان ينتقلان إلى الرصيف الآخر، وتبعا الرجل الذي كان يحمل حقيبةً صغيرةً ويمشي مسرعًا … ولم تمضِ سوى دقائق حتى وجداه ينحرف إلى محطة «الأوتوبيس»، ثم يقفز إلى «أوتوبيس» متجه جنوبًا إلى «أسيوط» … ودون أن يُفكِّر الصديقان قفزا خلفه … كان قد ركب في الدرجة الأولى، فركبا في الدرجة الثانية حتى يكونا بعيدَين عنه … وانطلق «الأوتوبيس» مسرعًا … ومال «محب» برأسه على «تختخ» قائلًا: ما هذا الذي فعلناه؟

تختخ: لا أدري … لقد نسينا المفتش الذي ينتظرنا الآن!

نظر «محب» إلى ساعته، ثم قال: لقد مضَت الساعة التي حدَّدها المفتش، وسوف يُصاب بقلق بالغ إذا لم نعُد في موعدنا.

تختخ: سنجد وسيلةً للاتصال به … المهم الآن أن نعرف أين يذهب هذا الرجل؟

محب: لقد تسرَّعنا يا «تختخ»، وقد لا يكون للرجل علاقة بعملية تزييف النقود أو العصابة.

تختخ: لقد ركبنا «الأوتوبيس» وانتهى الأمر.

وقطع عليهما الحديث الكمساري وهو يقترب منهما يطلب ثمن التذاكر … وحمد «تختخ» الله لأنه أحضر معه ما يكفي من نقود، فدفع ثمن تذكرتَين إلى «أسيوط»، ووقف هو و«محب» في الزحام و«الأوتوبيس» منطلق بهما، دون أن يعرفا ماذا يمكن أن يحدث بعد ذلك.

ومضَت ساعتان، واقترب «الأوتوبيس» من مدينة «أسيوط» … وكان الزحام قد اشتدَّ داخل «الأوتوبيس» الذي وقف في عدة محطات … وعندما توقَّف في النهاية أسرع الصديقان ينزلان برغم الزحام إلى الشارع، ويختفيان خلف «أوتوبيس» قريب. وأخذا يُراقبان النازلين في انتظار ظهور «يوسف» … ولكن «يوسف» لم يظهر مطلقًا … وخلا «الأوتوبيس» من رُكَّابه تمامًا … ولكن «يوسف» … كان قد تلاشى!

التفتَ «محب» إلى «تختخ» قائلًا: ما الذي حدث؟ … لقد اختفى الرجل!

تختخ: شيء مدهش! … ولكن هل نزل في إحدى المحطات التي توقَّف بها «الأوتوبيس» في الطريق … أو نزل هنا ولم نرَه؟!

محب: لقد كنا أول من نزل من «الأوتوبيس» … ولو كان فيه لرأيناه … ومن المؤكَّد أنه نزل في محطةٍ على الطريق …

تختخ: لقد كان أدهى منا كثيرًا … لعله شاهَدَنا في «الأوتوبيس» وخدعنا ونزل …

محب: وماذا نفعل الآن؟

تختخ: لا شيء أكثر من العودة فورًا إلى «القاهرة»!

واتجها إلى محطة السكة الحديد … وسألا عن القطار القادم من «أسوان» إلى «القاهرة»، فقال ناظر المحطة: هناك تأخير لا نعرف مدته … فقد وقع حادث في الطريق، ونحن نفعل ما بوسعنا، ولكن لا أستطيع تحديد موعد وصول القطار. كانَت صدمةً لهما … ونظر «تختخ» في ساعته، وكانَت تُشير إلى السادسة مساءً … وقال: إنني جائع جدًّا … تعالَ نأكل، ثم نُفكِّر فيما نفعل بعد ذلك.

وسارا يبحثان عن مطعم قريب … ووجدا فندق «أسيوط» السياحي، وبه مطعم أنيق، فدخلاه وطلبا الطعام، وجلسا في انتظاره …

كان «تختخ» يجلس بجوار النافذة ينظر إلى الشارع وقد ملأَت الخواطر رأسه … على حين كان «محب» يتأمَّل الجالسين حوله في المطعم … وفجأةً قفز «تختخ» واقفًا، وقال لـ «محب» وهو يُسرع خارجًا: ابقَ مكانك!

خرج «تختخ» مسرعًا إلى الشارع، و«محب» يرقبه مندهشًا … ماذا حدث؟ لا بد أن «تختخ» شاهد شخصًا يعرفه … وقد كان ذلك صحيحًا … لقد شاهد «تختخ» من خلال زجاج النافذة الرجل ذا الكتف المرتفعة … مساعد رئيس العصابة … وسرعان ما كان يسير على مبعدة منه … ولاحظ «تختخ» أنه اتجه إلى صيدلية قريبة ودخلها … ووقف «تختخ» خارج الصيدلية ينتظر خروجه، ولم يغِب الرجل طويلًا … فقد خرج مرةً أخرى يحمل ربطةً في يده، ثم قفز إلى عربة «حنطور»، وطلب من السائق أن ينطلق مسرعًا …

لم يكن أمام «تختخ» … إلا حلٌّ واحد … لم تكُن معه درَّاجته العزيزة … ولا كان أمامه تاكسي يركبه … وهكذا في ثانيةٍ واحدة كان قد تعلَّق بمؤخرة «الحنطور» كالأطفال الأشقياء، وانكمش على القضيب الحديدي الخلفي … كان منظرًا مثيرًا للانتباه … ولد سمين في ملابس نظيفة يتعلَّق بـ «الحنطور» … وسرعان ما كانَت تعليقات الناس تُطارده … وأخذ الأولاد في الشوارع يصيحون بالسائق صيحتهم التقليدية: كرباج ورا!

وسمع «تختخ» فرقعة السوط في يد السائق، وأحسَّ بطرف السوط وهو يهبط على جسده … لحسن الحظ على الحذاء … وزاد انكماشه، ولكنه ظلَّ متعلِّقًا بـ «الحنطور» برغم تكرار فرقعة السوط … لقد كانَت فرصة العمر بالنسبة له أن يرى عضو العصابة … بل مُساعد الزعيم شخصيًّا … ومضى «الحنطور» يشق طريقه والعيون تتعلَّق بالولد السمين … والسوط يُدوِّي بين فترة وأخرى … وفي أكثر من مرة أصابه السوط بلسعةٍ هائلة كأنه سكين يشق جلده … ولكنه ظلَّ متشبِّثًا بمكانه. ولم يطُل المسير … وأحسَّ «تختخ» بالحصان يُبطئ من خطوه، فأدرك أن «الحنطور» سيقف، وبخفة وسرعة قفز جانبًا، واختبأ في مدخل أول بيت صادفه، ثم وقف ينتظر …

على بعد نحو عشرين مترًا وقف الحنطور ونزل الرجل … ووقف يدفع الحساب، وبرغم بُعد المسافة فقد تأكَّد لـ «تختخ» أنه هو الرجل المطلوب … بطوله الواضح ونحافته … ودخل الرجل المنزل الذي توقَّف أمامه «الحنطور» … وانتظر «تختخ» لحظات، ثم خرج من مكمنه واتجه إلى المنزل … كان منزلًا مُكوَّنًا من ثلاثة أدوار يحمل رقم «٢٨»، ولم يتوقَّف «تختخ» طويلًا حتى لا يلفت إليه الأنظار، بل سار حتى أول الشارع، وقرأ اللافتة التي تحمل اسمه «شارع الخزان».

كان «الحنطور» قد ابتعد قليلًا، فأسرع «تختخ» خلفه ... إنه لا يعرف «أسيوط» وخشي أن يتوه، ثم إنه يُريد أن يعود إلى «محب» سريعًا، وسرعان ما كان يُنادي السائق، ثم طلب منه توصيله إلى مطعم «أسيوط» السياحي ... وعندما جلس في «الحنطور»، وعادَت دقَّات أقدام الحصان على الطريق، وفرقع السوط ... لم يتمالك «تختخ» نفسه من الابتسام ... لقد كان منذ لحظات قليلة مُعلَّقًا في مؤخرة «الحنطور» يتلقَّى لسعات السوط، وهو الآن يجلس داخل «الحنطور» بمنتهى العظمة ... وتحسَّس آثار السوط على جسده، وهزَّ رأسه في أسًى ...

وصل «الحنطور» إلى المطعم، وأعطى «تختخ» الرجل عشرة قروش، ثم قفز إلى الأرض وأسرع إلى داخل المطعم ... ووجد «محب» جالسًا في انتظاره وأمامه الطعام لم يمسَّه، فمدَّ يده وتناول قطعةً من اللحم وألقاها في فمه، ثم قال: لماذا لم تأكل؟

قال «محب» في ضيق: كيف آكل وقد أفزعتني؟! ... ماذا حدث؟

ردَّ «تختخ»: لقد وقعنا على صيدٍ ثمين ...

محب: أي صيد؟

تختخ: سأقول لكَ كل شيء ... كل بسرعة فنحن في أشد الحاجة إلى كل دقيقة! وانهمكا في الطعام ... وفي دقائق قليلة كانا قد انتهيا ... فقاما ... وبعد أن دفعا الحساب وغسلا أيديهما، قال «تختخ»: لقد رأيتُ مساعد رئيس العصابة!

محب: الآن؟!

تختخ: نعم ... مرَّ بجوار نافذة المطعم ... واتجه إلى «شارع الخزان» ... ودخل المنزل رقم «٢٨».

محب: ولماذا أضعتَ وقتنا في الطعام؟

تختخ: لقد دخل صيدليةً واشترى بعض الأدوية، ومعنى ذلك أنه مريض أو أنه ذاهب إلى شخص مريض ... فهناك وقت لنلحق به.

محب: ولكنك قلتَ إننا في حاجة إلى كل دقيقة!

تختخ: نعم ... ولكننا في أشد الحاجة إلى الطعام أيضًا!

كانا قد خرجا من المطعم، فقال «محب»: ما هي خطتك؟

نظر «تختخ» إلى ساعته، ثم قال: السابعة والربع ... سوف يهبط الظلام بعد قليل، وقد قرَّرتُ مراقبة المنزل.

محب: أليس من الأفضل أن نُبلغ الشرطة؟

تختخ: وهل تتصوَّر أنهم سيُصدِّقوننا؟! إن أحدًا لا يعرفنا … والمفتش «سامي» على بعد مئات الكيلومترات … وليس لنا إلا الاعتماد على أنفسنا.

ومرةً أخرى استدعى «تختخ» «حنطورًا»، وقفزا فيه … وطلب «تختخ» من السائق الاتجاه إلى «شارع الخزان» … ومشى «الحنطور»، وعندما وصلا إلى أول الشارع طلب «تختخ» من السائق التوقُّف، ثم سارا على حذر متجهَين إلى المنزل رقم «٢٨»، وكانَت الشمس قد غربَت …

أُمسية حافلة

بعد أن سارا مسافةً أشار «تختخ» إلى أحد المنازل وقال: هذا هو المنزل الذي دخله الرجل ... سنمشي على الرصيف المقابل له ونرقبه.

قال «محب»: إنني أقترح يا «تختخ» أن يذهب أحدنا إلى مكتب التليفون ويطلب المفتش «سامي» ... في «القاهرة» ... إنه بالتأكيد قد وصل الآن إلى هناك ... ونُخطره بما رأيته ... ونطلب منه الاتصال بالشرطة هنا في مدينة «أسيوط» ليُساعدونا بدلًا من الوقوف وانتظار الأحداث ...

ردَّ «تختخ» بعد تفكير قصير: لا بأس يا «محب» ... اذهب أنت إلى مكتب التليفون واطلب المفتش «سامي» وأخبِره بما يحدث ... وسأقف هنا في الانتظار ...

محب: إذا افترضنا أن شيئًا حدث قبل أن يصل رجال الشرطة فماذا نفعل؟

تختخ: لا أدري ... المهم أسرع الآن ... وإذا تحرَّكتُ أنا فسوف أترك لك رسالةً تليفونيةً في الفندق السياحي حيث تغدَّينا ... فقد حفظتُ رقم تليفونه ...

أسرع «محب» يسأل أقرب شخصٍ قابله عن مكتب التليفونات ... وعندما عرف مكانه سار مسرعًا في الطريق إليه ... وبعد مسيرة نحو عشر دقائق وصل إلى المكتب ... ووقف في طابور طالبي الحديث خارج المدينة ... أخذ يُفكِّر في «تختخ» ... هل يتمكَّن من الاتصال به تليفونيًّا؟ ... لنفرض أن الرجل غادر المنزل الآن ... هل يتركه «تختخ» ينصرف بدون أن يتبعه؟ وإذا تبعه هل يجد فرصةً للحديث التليفوني ليترك له الرسالة؟

كان الطابور يتحرَّك في بطء ... و«محب» ... يشعر كأن الدقائق قد أصبحَت ساعات لفرط لهفته ... وأخيرًا جاء دوره، فطلب الرقم ودفع النقود وأخذ الإيصال، ثم جلس على أقرب مقعد ... وأخذ ينتظر سماع الرقم عندما يُنادى عليه ... كان صوت الرجل يرتفع بين لحظة وأخرى صائحًا: «٥٢٥٦١ المنيا»، «كابينة» رقم ثلاثة ... تفضَّل يا سيد ... وتمضي

لحظات، ثم يَصيح مرةً أخرى «٩٨٩٣٤٤ مصر» ... «مصر» ... الأستاذ الذي طلب «مصر» ... «الكابينة» رقم واحد ... تفضَّل يا أستاذ ...

ووجد «محب» سيدةً عجوزًا تقف في انتظار مكالمة ... فقام من مكانه ورجاها أن تجلس مكانه ... ثم أخذ يتمشَّى ببطء في المكتب ... كان قريبًا من «الكابينة» حيث يتحدَّث الزبائن ... وسمع رقمًا لـ «القاهرة»، ثم رأى شخصًا يُسرع إلى الكابينة ويُغلق الباب خلفه ويتحدَّث ... لم يكن الباب مغلقًا جيدًا، فاستطاعَت أذنا «محب» الحادَّتان أن تسمع كلمات شدَّت انتباهه ... سمع الرجل يقول: نعم ... في منزل «شارع الخزان» ... إنه مصاب ... نعم في القطار ... أحضرنا له أحد الأطباء ... إصابته خطيرة ولكننا لم نتركهم ينقُلونه إلى المستشفى ...

كان ذهن «محب» يعمل بسرعةٍ خارقة، ويربط بين الحديث وبين ما سمع من «تختخ» ... رجل مصاب في «شارع الخزان» ... هل هو عضو العصابة؟!

ووجد «محب» نفسه يقترب أكثر من «الكابينة» ليسمع بقية الحديث ... كان الرجل يقول: استطعنا إغلاق العربة ... ليسَت هناك مشاكل حتى الآن ... نعم ... لا ... حاضر ... النقود معنا ... حاضر ...

ووضع الرجل السمَّاعة ... وأسرع «محب» يبتعد ... ورأى الرجلَ يخرج من «الكابينة»، وراقبه جيدًا حتى انطبعَت صورته في ذهنه ... وفكَّر ... هل يتبعه؟ ولكن الرجل سيذهب إلى المنزل في «شارع الخزان» و«تختخ» هناك ... فمن الأفضل إذن أن ينتظر المكالمة ...

ومضَت الدقائق بطيئة ... ثم سمع «محب» الرقم الذي طلبه ... والرجل يقول: «كابينة» رقم ثلاثة من فضلك ... وأسرَع إلى «الكابينة» ... وسرعان ما كان يسمع صوت المفتش «سامي»، وقال «محب»: أنا الآن في «أسيوط» ... طبعًا أنتَ قلقتَ علينا ... ولكن بعد أن خرجنا من عندك قرَّر «تختخ» أن نتبع الرجل الذي استجوبتَه عندما رأيناه بملابس مختلفة، وكان يسير مسرعًا ... فسرنا خلفه، وركب «الأوتوبيس» من «المنيا» إلى «أسيوط» فركبنا خلفه ... ثم فقدنا أثره ... وحاولنا أن نعود ولكن القطار الذاهب إلى «القاهرة» مُعطَّل بسبب حادثة في الطريق ... ثم شاهد «تختخ» ... أحد رجال العصابة ... فتبعه ... إنه الآن في منزلٍ بـ «شارع الخزان» ... و«تختخ» يُراقب المنزل ... نُريدك أن توصي رجال الشرطة هنا ليُساعدونا ...

واستمع «محب» لحظات، ثم مضى يقول: وقد استمعتُ إلى مكالمة تليفونية هامة الآن ... ولكن الوقت ضيق ... سأقول لكَ فيما بعد ...

واستمع «محب» مرةً أخرى، ثم قال: المفتش «أحمد»؟ سأذهب إليه فورًا ... لا أدري متى نعود؟ ... سنتصل بك. أرجو الاتصال بالأصدقاء وإخطارهم أننا بخير ...

أنهى «محب» المكالمة وهو يقول: حاضر ... سنُحافظ على أنفسنا ... وسأُسرع الآن إلى مديرية الأمن في «أسيوط» ...

ووضع «محب» السمَّاعة وخرج مسرعًا يسأل عن مكان مديرية الأمن ... وعندما وصل إليها سأل عن المفتش «أحمد»، ولكن المفتش لم يكن موجودًا.

وقف «محب» في صالة المديرية وحيدًا مرتبكًا ... ماذا يفعل؟! ومرةً أخرى سأل: هل يمكن الاتصال بالمفتش في منزله؟ وبعد إلحاح استطاع أن يتصل به، قال له: إنني من طرف المفتش «سامي» ... نعم مفتش البحث الجنائي في «القاهرة» ... نعم ... هناك أخبار عندي عن عصابة التزييف التي يُطاردها رجال الشرطة منذ شهور ... نعم ... ظهرَت النقود في «بني سويف» وفي «المنيا» وقد تظهر هنا ... ومعي زميل يُراقب منزل العصابة الآن!

استمع «محب» إلى المفتش، كان صوته يأتي ومعه موسيقى وأصوات مختلفة أخرى ... كان المفتش يقول: سأحضر إليك فورًا ... أعطني الضابط الموجود الآن ... اسمه «حسين».

وطلب «محب» من شرطي التليفون أن يُحوِّل المكالمة إلى الضابط «حسين» ... ثم فكَّر قليلًا وسأل عن مكان الضابط واتجه إلى مكتبه ...

عندما دخل «محب» كان الضابط يتحدَّث مع المفتش «أحمد» وكان يقول: حاضر يا أفندم ... حاضر يا أفندم ...

ووضع السمَّاعة، ثم التفتَ فرأى «محب» ... فقال: أهلًا وسهلًا ... تفضَّل ... حضرة المفتش «أحمد» سيحضر حالًا ... ثم قام الضابط فأصدر بعض التعليمات ... إعداد سيارة، وعدد من الرجال.

لم تمضِ دقائق حتى كان المفتش «أحمد» قد وصل. قال لـ «محب»: آسف إذا كنتُ قد تأخَّرت ... عندي حفلة عيد ميلاد ابني ... هيا بنا ... هل تعرف المكان؟

محب: نعم ... إنه المنزل رقم «٢٨» في «شارع الخزان» ...

ونزلوا مسرعين ... وركبوا سيارة الشرطة التي انطلقَت مسرعةً إلى الشارع المذكور ... وعندما وصلوا إلى هناك أشار «محب» إلى المنزل ... وبدأ الرجال يُغادرون السيارة، وأخذ المفتش يُصدر تعليماته ... أمَّا «محب» ... فقد كان ينظر حوله ... كان يبحث عن «تختخ» ... ولكن «تختخ» لم يكن له وجود ... ودقَّ قلب «محب» وكاد يخرج من بين جنبَيه ... أين «تختخ» الآن؟! أين ذهب؟! هل ترك له رسالةً كما اتفقا ... أو لم يتسع له الوقت؟!

وشاهد «محب» رجال الشرطة وهم يدخلون المنزل، فأسرع خلفهم ... وسأله المفتش: في أي طابق؟

ردَّ «محب»: لا أدري!

دخل المفتش والرجال ... تجمَّع بعض المارة أمام الباب ... ودقَّ المفتش جرس أول شقة في المنزل ... وفُتح الباب، وأطلَّ وجه سيدة تسأل من الطارق، فقال المفتش في أدب: آسف جدًّا ... إننا نسأل عن رجل مصاب!

ردَّت السيدة: لا مصابين عندنا ... ربما في الدور الثالث فقد شاهدتهم ينقُلون رجلًا مصابًا قرب العصر.

أسرع المفتش ورجاله ومعهم «محب» إلى الدور الثالث ... كانَت هناك شقتان إحداهما مضاءة والأخرى مطفأة ... ومرةً أخرى كان المفتش يدق جرس الشقة المضاءة ... ولكن «محب» جذبه من ذراعه ... فأمام الشقة المظلمة ... وعلى ضوء السلَّم، كانَت على الأرض قِطَع من القطن مُلَوَّثة بالدماء ... وفهم المفتش، وتقدَّم ومعه رجاله وقد شهروا أسلحتهم في الشقة المظلمة ... ودفع المفتش الباب بيده ... وكم كانَت دهشتهم عندما وجدوه مفتوحًا! ... تسلَّل الرجال إلى الداخل، وأضاء المفتش نور الصالة ... كانَت خالية ... وطافوا بالغرف كلها ... وكانَت جميعها خالية ... لم يكن هناك أي أثر لأحد ... ففي غرفة للنوم شاهدوا فراشًا بجواره بعض قِطَع القطن المُلَوَّثة بالدماء ...

قال المفتش: لقد أفلتوا!

تشمَّم «محب» رائحة الغرفة، فاشتمَّ رائحة سجائر ما زالَت في الجو فقال: لقد انصرفوا منذ قليل ... لا بد أنهم كانوا في انتظار هبوط الظلام.

قال المفتش: وأين زميلك الذي تحدَّثتَ عنه؟

ردَّ «محب»: لا أدري، ولكنه اتفق معي أن يترك لي رسالةً تليفونيةً في الفندق السياحي حيث تغدَّينا ... هذا إذا كانَت هناك فرصة لذلك ...

ونزل الرجال مرةً أخرى بعد أن ترك المفتش أحد رجاله يحرس الشقة؛ فقد يعود رجال العصابة إليها ... ومرةً أخرى تحرَّكَت السيارة مسرعةً إلى الفندق السياحي، وأسرع «محب» والمفتش إلى عامل التليفون ... وسأله «محب»: ألم تصِلك مكالمة تليفونية باسم «محب»؟

ردَّ الرجل وهو يُفكِّر: «محب»! لا أذكر أن أحدًا سأل عن هذا الاسم. وقف المفتش و«محب» في وسط الفندق ... كانَت الحياة تمضي ... الناس يدخلون ويخرجون ... ويأكلون

... وكلاهما واقف في صمت يُفكِّر في الخطوة التالية ... ثم قال المفتش: آسف جدًّا ... لكني مضطر للعودة إلى منزلي ... إن عندي ضيوفًا. تفضَّل معي.

ردَّ «محب»: شكرًا ... سأبقى هنا ... فقد تصل رسالة من صديقي ...

المفتش: على كل حال إنني في انتظار مكالمة إذا جدَّ جديد ... وتستطيع الاتصال بمديرية الأمن إذا احتجتَ إلى مساعدة ...

وعرَّف المفتشُ «أحمد» رقمَ تليفون منزله لـ «محب»، ثم انصرف ... ووجد «محب» نفسه وحيدًا وسط الفندق ... ونظر إلى ساعته، وكانَت تقترب من التاسعة ... ماذا يفعل؟

اتجه إلى أقرب مائدة وجلس، وطلب زجاجةً من «الكوكاكولا»؛ فقد كانَت ليلةً شديدة الحرارة ...

جلس «محب» يرتشف المشروب البارد ... وذهنه ينتقل من فكرة إلى أخرى ... ومن مكان إلى آخر ... ولكنه كان ينتهي دائمًا بهذا السؤال ... أين «تختخ»؟! وأخذ يتذكَّر مغامراتهم السابقة ... لقد مرُّوا بظروفٍ أسوأ من هذه بكثير ... ولكن المشكلة الآن كيف يتصرَّف؟ ... كيف يجد «تختخ»؟ هل يُسافر إلى «القاهرة» ويعرض كل التفاصيل على الأصدقاء وعلى المفتش «سامي»؟ ولكن كيف يترك «تختخ» وحيدًا في هذه المدينة؟ وهل ما يزال في المدينة؟! أسئلة كثيرة ... ولكن بلا إجابة واحدة!

كان الوقت يمضي وهو جالس لا يدري ماذا يفعل ... ثم تذكَّر فجأةً شيئًا هامًّا ... وضع يده في جيبه يبحث عمَّا بقي معه من نقود ... لقد كان «تختخ» يحمل النقود كلها معه، ولم يكن مع «محب» الكثير ... وأخذ يُحصي نقوده ... ووجد أن كلَّ ما معه لا يزيد على تسعين قرشًا ... مشكلة أُخرى ... هل ينام الليلة في «أسيوط»؟ هل يُسافر؟ ومن أين النقود؟! هل يطلب من المفتش «أحمد» قرضًا؟ إنه يخجل أن يفعل هذا!

وقام ... لا بد أن «تختخ» ترك له رسالةً في مكان ما ... فما الأماكن التي يمكن أن يُفكِّر فيها «تختخ»؟ وبعد أن دفع ثمن ما شرب خرج يمشي في الشارع، وقادَته قدماه إلى محطة السكة الحديد ... ووجد نفسه يتجه إلى ناظر المحطة وسأله: هل تمَّ إصلاح الخط؟

ردَّ الرجل بدون أن ينظر إليه فقد كان مشغولًا: تمَّ إصلاح الخط ... وبدأَت القطارات تنتظم في السير.

وبدأ «محب» يتحرَّك مغادرًا الناظر، ولكن الناظر رفع بصره ينظر إليه ... وضاقَت عينا الناظر لحظة، ثم قال: ألم تأتِ هذا المساء مع زميل لكَ تسألان عن القطارات الذاهبة إلى «القاهرة»؟

ردَّ «محب»: نعم كان معي زميل وهو سمين قليلًا.

قال الناظر: إذن أنتَ «محب».

ردَّ «محب» وقلبه يدق سريعًا: نعم … أنا «محب»!

قال الرجل: عندي رسالة لك من صديقك «توفيق». يقول لك … اركب فورًا إلى «القاهرة» … لقد سبقك إلى هناك!

استنتاجات

أحسَّ «محب» بفرحة طاغية ... لقد كان متأكِّدًا أن «تختخ» سيجد وسيلةً ليُرسل له رسالة ... وقد حدث ... وسأل الناظر: هل ركب «توفيق» القطار؟

قال الناظر: لا أدري ... لقد ظهر فجأةً وقال لي الرسالة، ثم اختفى ... وقد كان يبدو عليه الانفعال الشديد ...

محب: وبكم تذكرة السفر إلى «القاهرة»؟

الناظر: ٧٥ قرشًا في الدرجة الثالثة ... وسيأتي القطار بعد ساعة تقريبًا ...

ومرةً أخرى أحسَّ «محب» أن كل شيء على ما يُرام ... لقد سبقه «تختخ» إلى «القاهرة» والنقود التي معه تكفي ... بل إن معه زيادةً خمسة عشر قرشًا ... وقرَّر أن يُكافئ نفسه بزجاجة «كوكاكولا» ثانية ... وبعد أن قطع تذكرة السفر ... اشترى روايةً قديمةً يتسلَّى بها، وشرب زجاجة «الكوكاكولا» ... ثم جلس تحت مصباح المحطة يقرأ ... ومضَت الساعة، وسمع صفير القطار القادم فاستعد ... ولم يكَد القطار يقف حتى أسرع إلى أحد أبواب عربات الدرجة الثالثة ... كان يرجو أن يجد مكانًا للجلوس ... ولكن كان ذلك حلمًا ... فقد كان القطار مزدحمًا تمامًا ... وأُضيف إليه رُكَّاب «أسيوط» أيضًا ... وبالكاد وجد مكانًا للوقوف بجوار النافذة ... أغلق «محب» الكتاب ووقف يتأمَّل من حوله ... لقد علَّمَته التجارِب والمغامرات التي مرَّ بها أن يكون يقظًا ومتنبِّهًا ... فكثيرًا ما كانَت كلمة أو نظرة كافيةً لحل لغز ... أو بداية لغز جديد ...

ومضى القطار يشق طريقه في الظلام متجهًا إلى «القاهرة» ... لم يكن بين الركاب من لفت نظر «محب»، ولكن أحاديث الناس عن الحادث الذي أخَّر قطارات الصعيد استرعَت انتباهه، وكم كانَت دهشته عندما علم أن الحادثة وقعَت لقطار بضاعة وليس لقطار من قطارات الركاب! ... إذن فعضو العصابة المصاب لم يُصَب في حادثة القطار كما تصوَّر هو و«تختخ» ... ولكي يتأكَّد سأل أحد الركاب: هل كان هناك مصابون في الحادث؟

قال الرجل: على قدر علمي لم يكن هناك مصابون على الإطلاق.

قال «محب» لنفسه: شيء غريب ... لقد أقمنا استنتاجات كثيرةً على إصابة الرجل في حادث القطار ... ولكن الرجل أُصيب في حادث آخر!

عاد «محب» ففتح الكتاب ليقرأ، وحاول قضاء وقت مفيد؛ فالقطار ممَّا يقف على محطات المحافظات ... ويأخذ وقتًا طويلًا إلى «القاهرة» ...

ومضَت الساعات، واقترب القطار من «القاهرة»، واتجه «محب» إلى الباب ... ولم يكَد القطار يصل إلى الرصيف حتى نظر إلى ساعته ... كانَت تُعلن منتصف الليل ... ولم يكُن معه إلا ثلاثة قروش ... وعليه أن يركب «الأوتوبيس» إلى محطة «باب اللوق» ... ولم يُضيِّع وقتًا ... ووجد نفسه بعد نصف ساعة يقترب من «المعادي»، وأحسَّ بسعادة بالغة وهو يقطع الطريق ماشيًا بسرعة وهو يُفكِّر: هل يمر على «تختخ» الآن ... أو ينتظر إلى الصباح؟ ...

وقرَّر أن يمر به ... فإذا وجد نورًا في غرفته أطلق صيحة «البومة». وهكذا عندما وصل إلى حديقة منزل «تختخ» دخل، ونظر إلى غرفة «تختخ»، وكانَت النافذة مفتوحة ... والنور مضاء ... فأطلق صيحة «البومة» ... وسرعان ما أطلَّ رأس «تختخ» من النافذة وقال: «محب»! سأفتح لكَ الباب فورًا ...

وردَّ «محب»: سأصعد على الشجرة اقتصادًا للوقت.

وقفز «محب» القوي على الشجرة، وتسلَّق الأغصان، ثم قفز إلى الغرفة، وتلقَّاه «تختخ» مُرحِّبًا، ثم نظر إليه قائلًا: ياه! ... إنك مُغطًّى بالتراب.

محب: لقد ركبتُ في الدرجة الثالثة ... ووصلتُ إلى هنا. لم يبقَ مع أية نقود.

تختخ: لعلك جائع؟

محب: جدًّا!

تختخ: تعالَ ننزل إلى المطبخ ... ولكن اغتسل أولًا حتى أُعِد لكَ لقمةً سريعة ... ودخل «محب» الحمَّام، على حين أسرع «تختخ» نازلًا إلى المطبخ ... وبعد دقائق كان الصديقان يجلسان معًا، و«محب» يلتهم الطعام، و«تختخ» يسرد عليه كل ما مرَّ به بعد أن تركه «محب» في «شارع الخزان».

قال تختخ: بعد انصرافك أخذتُ أسير أمام المنزل ... كانَت أضواء الطابق الثالث مضاءة، ولكن النوافذ مغلقة ... ومضى الوقت وأنا واقف، ثم حضر أحد الأشخاص ... وبدا لي من سرعته أنه أحد أعضاء العصابة.

محب: وبدون أن أُقاطعك ... كان قصير القامة ... ورأسه كبير ... ويلبس قميصًا أزرق اللون.

تختخ: تمامًا ... كيف عرفت؟

محب: سأُخبرك عندما تنتهي من حديثك.

تختخ: ترك الرجل «الحنطور» أمام الباب، ثم صعد إلى أعلى، وأدركتُ من وِقفة «الحنطور» أمام الباب أنهم سينزلون، فأسرعتُ أبحث عن تليفون، وفعلًا وجدتُ محلًّا لبيع السجائر به تليفون ... وأخذتُ أطلب رقم الفندق السياحي ... ولكن الرقم كان مشغولًا باستمرار، وخشيتُ أن يُغادروا المنزل بدون أن أراهم ... فتركتُ التليفون وعدتُ مسرعًا إلى المنزل ... فلم أجِد «الحنطور» أمام الباب ... وجريتُ في الشارع ... ولحسن الحظ رأيتُ «حنطورًا» من بعيد ... لم أكُن مُتأكِّدًا أنه هو ... ولكني قرَّرتُ أن أتبعه وأبذل كلَّ ما أستطيع ... وجريتُ خلفه ... كانَت المسافة كبيرة ... وأنت تعرف ...

محب: أعرف أنك لا تستطيع أن تجري بسرعة ...

ابتسم «تختخ» قائلًا: سأُحاول أن أُخفِّف وزني، وأتمرَّن على الجري ... فقد كادوا أن يُفلتوا مني ... ولكني وجدتُهم يتجهون إلى المحطة ...

عاد «محب» يُقاطع «تختخ»: لقد نقلوا المصاب إلى «القاهرة»!

مرةً أخرى قال «تختخ» مندهشًا: كيف عرفت؟

محب: سأقول لكَ بعد أن تُكمل حكايتك.

مضى «تختخ» قائلًا: أدركتُ أنهم سيركبون القطار ... فأسرعتُ إلى المحطة، ولكني لم أجد أثرًا لـ «الحنطور» ... وصعدتُ إلى المحطة أبحث عنهم، ووجدتُ القطار قد وصل، فتصوَّرتُ أنهم ركبوا قبلي ... فأسرعت إلى ناظر المحطة وتركتُ لكَ الرسالة، ثم قفزتُ إلى القطار وهو يتحرَّك.

وسكت «تختخ» قليلًا، ثم قال: وتجولتُ في القطار أبحث عنهم ... ولكني لم أعثر لهم على أثر.

محب: شيء غريب!

تختخ: فعلًا ... ولكن هناك استنتاجًا ... إنهم ركبوا في إحدى عربات النوم، وأنت لا تستطيع أن تفتح كل الأبواب ... وتسأل عن شخص مصاب ... أو تُفتِّش عنه فوق الأَسِرَّة ... ولكني قرَّرتُ أن أنتظر حتى الوصول إلى محطة «القاهرة»، وأنتظرهم ...

وسكت «تختخ» قليلًا، ثم قال: ولكن؟

وعاد إلى الصمت مرةً أخرى، وبدا كأنه يخجل ممَّا سيقوله ... ثم قال: ولكن حدث أني نمت ... نعم نمت ... لا أدري كيف حدث أني استسلمتُ للنوم ... لقد كنتُ متعبًا فأسلمتُ عيني للرقاد لحظات ... ولم أستيقظ إلا وأحد فَرَّاشي القطار يوقظني قائلًا: إننا وصلنا إلى «القاهرة» ... وبالطبع لم أجد أحدًا ... وحضرتُ إلى هنا!

محب: على كل حال لقد حضروا إلى «القاهرة».

تختخ: كيف عرفت؟

محب: لقد مررتُ بمغامرة فاشلة أيضًا، ولكني شاهدتُ وسمعتُ ما يكفيني لأن أُؤكِّد أنهم الآن في «القاهرة» ... ولكن لن أروي لك حكايتي الآن ... إنني متعب أنا الآخر، وسأذهب لأنام ... وغدًا صباحًا سنجتمع مع الأصدقاء وأحكي لكم كل ما حدث ... إنني لا أستطيع أن أروي الحكاية مرَّتَين.

تختخ: ولكن كيف تتركني دون أن أعلم؟

محب: لقد قلتُ لك ... إنهم في «القاهرة» ... ولكن التفاصيل غدًا ...

وتصافح الصديقان ... وانطلق «محب» عائدًا إلى منزله ...

في صباح اليوم التالي كان هناك اجتماع حافل للأصدقاء ... كانَت هناك تحيات وقبلات ... ثم جلس الخمسة وبجوارهم «زنجر» في «الكشك» الصيفي في حديقة منزل «عاطف» الواسعة ...

وبدأ «تختخ» فقدَّم للأصدقاء تفاصيل المغامرة منذ بدأَت في لغز «الفهود السبعة»، وقصة عصابة التزييف، ثم روى هو مغامرته و«محب» ... في «المنيا» و«أسيوط» ... ومغامرته عندما راقب المنزل، وكيف جرى وراء «الحنطور». وهنا قال «عاطف» باسمًا: لا بد أنكَ لم تجرِ كثيرًا؛ فما زلتَ من الوزن الثقيل ...

تختخ: إنكَ تجلس هنا في «المعادي» ولا تفعل شيئًا سوى إلقاء النكت!

واحمرَّ وجه «عاطف»، ثم قال «تختخ»: والآن سيروي لكم «محب» ما مرَّ به. إني أعتقد أنه حصل على معلومات هامة ... فقد سمعتُ بعض استنتاجات تدل على أنه شاهد وسمع الكثير.

والتفتَت «نوسة» ... إلى «محب» ... وقالَت: هيا يا «محب»!

لوزة: إننا أصبحنا مستمعين فقط ... فلم نشترك في اللغز الماضي اشتراكًا فعليًّا ... وها نحن أولاء أنا و«نوسة» نقوم بدور المستمعين.

تختخ: ولكن لا تنسَي يا «لوزة» ... أن الاستنتاجات جزء هام جدًّا من حل اللغز ... بل هي أهم جزء على الإطلاق ...

محب: لقد لعبَت الصدفة دورها فيما سمعتُ وشاهدت ... فعندما اتفقتُ مع «تختخ» على الذهاب للحديث مع المفتش «سامي» تليفونيًّا، تصادف أن وقفتُ بجوار «كابينة» التليفون، وسمعتُ شخصًا يتحدَّث إلى شخص آخر في «القاهرة» ... وفهمتُ من الحديث أن هنالك شخصًا مُصابًا مطلوب نقله إلى «القاهرة» ... وظننتُ أنه قد يكون أحد رجال العصابة ... فاستمعتُ إلى كل الحديث ...

ثم روى «محب» للأصدقاء مغامرته ... والاستماع إلى المكالمة التليفونية، والتحدُّث إلى المفتش «سامي» ... ومقابلة المفتش «أحمد»، والذهاب لتفتيش المنزل ... ثم الرسالة التي تلقَّاها من ناظر المحطة ... وما سمعه في القطار عن حادث قطار البضاعة ... وبعد أن انتهى «محب» من روايته قال «تختخ»: والآن ... مطلوب منا أن نُخرج من هذه المعلومات باستنتاجات مُحدَّدة، نصل بها إلى العصابة.

سكت الأصدقاء لحظات يُفكِّرون، ثم قالَت «لوزة»: الشيء الذي أُحسُّ أنه مهم فعلًا هو حادث قطار البضاعة ... ماذا كانَت العصابة تفعل في قطار بضاعة؟

محب: ولكننا لم نقُل إن العصابة كلها كانَت في قطار البضاعة، لقد قلتُ إن فردًا واحدًا منها أُصيب ... وحتى ذلك لسنا متأكِّدين منه؛ فقد يكون قد أُصيب في حادث سيارة، أو أي حادث آخر.

لوزة: يبدو أنكَ بدأتَ تُصاب بالنسيان ... لقد قلتَ لنا إن الرجل الذي كان يتحدَّث في التليفون قال إن المصاب قد جُرح في القطار!

احمرَّ وجه «محب» قليلًا، ثم قال: فعلًا ... فعلًا ... إنني أتذكَّر أنه قال هذا ... إذن فسؤالكِ له أهمية فعلًا.

قالَت «نوسة»: بالإضافة إلى القطار ... هناك شيء هام جدًّا ... رقم التليفون الذي طلبه عضو العصابة في «القاهرة» ... إن المعتاد في مكتب التليفونات أن يُنادوا على الرقم بصوت مرتفع ... فإذا كنتَ قد سمعتَه يا «محب» ... وحفظتَه؛ ففي إمكاننا عن طريقه أن نصل إلى مكان العصابة في «القاهرة»!

تحوَّلَت الأنظار كلها إلى «نوسة» ... في إعجاب، ثم اتجهَت إلى «محب» الذي ضرب جبهته بيده قائلًا: معك حق ... كيف لم أحصل على هذا الرقم؟! إنني للأسف الشديد لا أذكر شيئًا منه على الإطلاق؛ لأني لم أكُن أعرف أن هذا الرجل له صلة بالموضوع إلا بعد أن سمعتُ كلامه وهو يتحدَّث بالتليفون.

النكتة العجيبة

وقف «تختخ» قائلًا: هذه نقطة مُهمَّة فعلًا، مُهمَّة جدًّا ... إن وصولنا إلى هذا الرقم يعني أننا وصلنا إلى العصابة ... وليس مُهمًّا أن يتذكَّر «محب» الرقم ... إن المفتش «سامي» يمكنه أن يحصل لنا على كلِّ الأرقام التي طُلبَت في تلك الليلة في «القاهرة»، وبمتابعتها يمكن أن نصل إلى العصابة.

ولم تُضيِّع «لوزة» وقتًا، لقد أسرعَت بإحضار التليفون، وسرعان ما كان «تختخ» يطلب رقم المفتش «سامي» ... ولكن المفاجأة أن المفتش «سامي» لم يكن موجودًا، لقد سافر إلى «بنها» ... المفاجأة الثانية كانَت سبب سفره؛ فقد ظهرَت النقود المزيَّفة هناك ... وقد وضع المفتش كمائن على جميع قطارات الركاب.

وضع «تختخ» السمَّاعة، والتفتَ إلى الأصدقاء قائلًا: شيء غريب! ... كنتُ أتصوَّر أن العصابة — وهي تعلم أن الشرطة تُطاردها — ستتوقَّف عن توزيع النقود المزيَّفة، ولكن العملية مستمرة ...

نوسة: لعل هذه النقود كانَت موجودةً منذ فترة في «بنها»، ولم تظهر حتى الآن ... فليس من الضروري اكتشاف النقود المزيَّفة في يوم توزيعها ... فقد تمضي أيام، بل أسابيع وشهور، دون أن تظهر النقود!

تختخ: معقول جدًّا ... بقيَت مشكلة الحصول على المكالمات التليفونية التي تمَّت بين «أسيوط» و«القاهرة» أمس مساءً ...

قفز «محب» صائحًا: وجدتُ الحل! ... إن معي رقم تليفون منزل المفتش «أحمد» في «أسيوط»، فلماذا لا نطلبه؟

عاطف: الساعة الآن الحادية عشرة صباحًا ... ولعلَّه لن يعود إلى منزله إلا في موعد الغداء كالمعتاد ... فلْنطلب مديرية أمن «أسيوط» ونسأل عليه.

تختخ: إن ذلك يستدعي أن نذهب إلى مكتب التليفونات!

محب: سأذهب أنا و«عاطف» …

وأسرع الصديقان، وبقي «تختخ» و«نوسة» … و«لوزة» يتحدَّثون … وفي مكتب التليفونات جلس «عاطف» … واتجه «محب» إلى عامل التليفون، وطلب دليل «أسيوط»، وأخذ يبحث عن رقم … وفجأةً شاهد «عاطف» الشاويش «فرقع» يصل إلى باب المكتب ويدخل … وتلاقَت نظراتهما … وبدَت على الفور في وجه الشاويش علامات الشك والريبة … فوجود «عاطف» في مكتب التليفون علامة على أنه وراء مغامرة أو لغز … ثم شاهد الشاويش المغامر الثاني «محب» وهو يطلب مديرية أمن «أسيوط»، ويطلب المفتش «أحمد» … وتأكَّد الشاويش أن هناك شيئًا يحدث وراء ظهره … ولا بد أن يعرفه … ولكن كيف؟!

أخذ الشاويش يبرم شاربه وهو يسير في المكتب، وعينا «عاطف» ترمقانه وهو ينتظر اللحظة التي سيتقدَّم فيها الشاويش منه … لقد كان مُتأكِّدًا أنه سيسأله ماذا يفعل في المكتب، ولا بد أنه يرد عليه … فلْيُفكِّر في شيء ظريف … وكان الشاويش قد سمع كلمة «أسيوط» والمفتش «أحمد»، وهكذا تقدَّم من «عاطف» قائلًا: ماذا تفعل هنا؟

وقف «عاطف» احترامًا للشاويش وقال: إنني أنتظر «محب».

الشاويش: وماذا يفعل «محب»؟

عاطف: إنه ينتظرني.

احمرَّ وجه الشاويش وبدَت علامات الضيق عليه، ولكنه قال: وماذا تفعلان هنا … أنتما الاثنان؟ لقد سمعتُه يطلب «أسيوط»، لماذا؟!

عاطف: الحقيقة يا شاويش أننا نطارد لصًّا!

بدا الاهتمام على وجه الشاويش، وقال: لص! وماذا سرق؟

عاطف: لقد سرق قطارًا!

الشاويش: تقصد أنه سرق شخصًا يركب القطار؟

عاطف: أبدًا يا شاويش … الحقيقة أنه سرق قطار بضاعة، ثم اتجه إلى «بني سويف» … «المنيا» … «أسيوط» … ثم عاد إلى «بنها» … ونحن نُحاول أن نُمسكه ونمنعه من اللعب بالقطارات؛ لأنها لعبة خطرة!

انفجر الشاويش غضبًا، وقال بصوتٍ لفت أنظار الجالسين إليه: هل تضحك معي حضرتك؟! هل تعتقد أن دمك خفيف؟! … إنني أعرف ماذا تفعلان هنا وسوف أُحاسبكما على كل شيء!

ودار الشاويش ليخرج، ولكنه التفتَ إلى «عاطف» قائلًا: أنت وهذا الولد السمين «تختخ»، إن حسابكما لم ينتهِ حتى الآن!

وكان «محب» قد وقف يُشاهد المنظر، ولم يتمالك نفسه من الضحك وهو يُشاهد الشاويش خارجًا وقد اشتعل غيظًا، ولكنه عندما التفتَ إلى «عاطف» وكان يتوقَّع أن يجده هو الآخر يضحك، فوجئ بأن وجده قد استغرق في تفكير عميق، وقد بدت على وجهه كل علامات الجد.

مدَّ «محب» يده وهزَّ كتف «عاطف» قائلًا: ماذا هناك؟! هل تُفكِّر في بناء سينما على سطح القمر ... أم تُفكِّر في شراء قطار بضاعة لحسابك؟!

رفع «عاطف» إلى «محب» وجهًا جادًّا، فأدرك «محب» — وهو يعرف «عاطف» المهزار — أن هناك مسألةً جادةً فعلًا تشغله ... وقام «عاطف»، وأخذ «محب» جانبًا وقال له: لقد عثرتُ على حل لغز النقود المزيَّفة!

محب: ليس هناك لغز يا «عاطف»، إننا نعرف العصابة ونُطاردها ...

عاطف: لن تصلوا إليها إلا إذا اقتنعتُم بالفكرة التي خطرت لي.

محب: وما هذه الفكرة المدهشة؟

عاطف: فكرة جهنمية يا «محب» ... خطرت ببالي وأنا أُعابث الشاويش!

محب: لعلك صدَّقتَ فعلًا أن هناك شخصًا سرق قطار بضاعة!

عاطف: لا لم يسرقه، ولكن استخدمه بطريقةٍ ذكية ... إنكَ لاحظت طبعًا — كما لاحظنا جميعًا — أن النقود تظهر في عواصم المحافظات ... «بني سويف» ... «المنيا» ... «أسيوط» ... «بنها» ... وتظهر قرب محطة السكة الحديد!

محب: طبعًا ... وناقشنا هذه النقطة من قبل.

عاطف: معنى ذلك أن العصابة تركب قطارًا وتُوزِّع النقود بدون أن تتعرَّض للخطر ... فواحد من العصابة ... ينزل لتسليم النقود، ثم يعود إلى القطار.

محب: نعم ... وماذا بعد ذلك؟

عاطف: لو كنتَ أنت مكان زعيم العصابة الذكي ... وتُريد ألَّا يراكَ أحد، ولا أن يرى العصابة في القطار، فماذا تفعل؟

محب: لا أعرف بالضبط ماذا تقصد ... قد أُسافر مُتنكِّرًا مثلًا!

عاطف: هناك حل آخر أسهل ... أن تُسافر في قطارات البضاعة حيث لا يركب أحد، بشرط أن تحتاط كي لا يراك أحد من موظفي السكة الحديد! فكَّر «محب» ... قليلًا، ثم

قال: مدهش جدًّا يا «عاطف»! إن فكرتك معقولة جدًّا؛ فالرجل المصاب — كما هو واضح — قد أُصيب في حادث قطار البضاعة ... لقد كان يركبه!

عاطف: ومعنى هذا أن الكمائن التي وضعها المفتش على قطارات الركاب لن تُؤدِّي إلى نتيجة ... فهُم يُسافرون بقطارات البضاعة ... إنهم مُتأكِّدون أن لا أحد سيكشف السر؛ لهذا واصلوا توزيع النقود!

محب: تذكَّرتُ شيئًا آخر ... لقد كان عضو العصابة يقول في التليفون إنهم لم ينقُلوا المصاب إلى المستشفى، حتى لا يتعرَّضوا لسؤالهم عن سبب وجوده داخل قطار البضاعة ... إنك مدهش! ... إنك عجيب!

عاطف: لستُ أنا، إنه الشاويش «فرقع» الذي ظهر في الوقت المناسب، أو لعلها النكتة التي هبطت على رأسي في الوقت المناسب.

محب: إنها لم تأتِ إليك ... لقد كنتَ تُفكِّر فيها طول الوقت ... فعندما يكون الإنسان مشغولًا بشيء فإن ذهنه لا يكُف عن التفكير فيه حتى وهو نائم ... وكثير من الاكتشافات هبطت على أصحابها وهم نائمون أو يأكلون ... فقد كانت عقولهم تعمل طول الوقت.

عاطف: إني ...

ولكن «عاطف» لم يُتم جملته؛ فقد نودي على «محب» وأسرع إلى «الكابينة» وقد أخرج ورقةً وقلمًا، وبدأ محادثته مع المفتش «أحمد»: أنا «محب»، لقد كنتُ معك أمس ... نعم من قِبَل المفتش «سامي» ... إننا ما زلنا نبحث عن العصابة ... ونُريد الحصول على كشفٍ بالمكالمات التي تمَّت بين «أسيوط» و«القاهرة» في الفترة ما بين الساعة السابعة والتاسعة مساءً ... نعم الفترة التي كنتُ فيها في مكتب التليفون ... نعم ... سأنتظر ردًّا منك ... إنها مسألة على أعظم جانبٍ من الأهمية! أرجو أن تكتب رقم تليفوني ...

واستمع «محب» قليلًا، ثم قال: بعد ساعة، عظيم جدًّا ...

ثم أعطاه «محب» رقم تليفون منزل «عاطف» حيث يجتمع المغامرون الخمسة، وشكره، ثم وضع السمَّاعة وخرج إلى «عاطف» بوجهٍ مبتهج قائلًا: بعد ساعة ستصلنا مكالمةٌ من المفتش «أحمد» ... هيَّا بنا ... لقد اقتربنا من الحل!

وقفز الصديقان كلٌّ على دراجته وانطلقا عائدَين، ومن بعيد كان الشاويش «فرقع» ينتظر، فأسرع يتبعهما ... ولم يكن في حاجة إلى أن يقترب حتى لا يختفيا ... فقد كان يعرف أين يجتمع المغامرون الخمسة ...

عندما عاد «عاطف» و«محب» ... كان «تختخ» و«لوزة» و«نوسة» ... ما زالوا يتحدَّثون، وأسرع «محب» يقول: أخبار ومفاجآت، واستنتاجات في غاية الأهمية ...

لوزة: كل هذا في الساعة التي تغيَّبتماها؟!

عاطف: بل في دقائق قليلة، وفي نكتة.

ثم التفتَ «عاطف» إلى «تختخ» وقال: هل تصدِّق أن الشاويش «فرقع» هو الذي حل اللغز؟!

تختخ: الشاويش «فرقع»! ما دخله في هذا كله؟!

وروى «عاطف» للأصدقاء مغامرتَه الصغيرة مع الشاويش «فرقع»، والاستنتاجات التي خرج بها من النكتة التي أراد أن يضحك بها على الشاويش …

كانَت «لوزة» أسرع الجميع إلى التعليق فقالت: إنها فكرة رائعة حقًّا يا «عاطف»! كيف لم يخطر ببالنا حتى الآن ما فكَّرتَ فيه؟! «عاطف» ضاحكًا: لأن دمكم ثقيل!

وضحك الجميع، ثم قال «تختخ»: إنني مقتنع تمامًا باستنتاجات «عاطف»، ولا بد من الاستفادة منها فورًا. وإنني لن أنتظر المكالمة القادمة من «أسيوط» … لينتظر «محب» و«نوسة» و«لوزة»، وتعالَ معي أنت يا «عاطف» … ولْنأخذ معنا «زنجر» …

محب: إلى أين يا «تختخ»؟

تختخ: إلى محطة «باب الحديد» أولًا … إن لي حديثًا مع ناظر المحطة. أمَّا أنتم فعليكم انتظار المكالمة، وعندما تأتي تصرَّفوا كما تشاءون.

وسكت قليلًا، ثم أضاف: ولكن لا تُعرِّضوا أنفسكم للأخطار.

وأسرع «تختخ» و«عاطف» … وخلفهما «زنجر» خارجين … ووصلوا إلى محطة «المعادي» … ومنها إلى محطة «باب اللوق» … ثم إلى محطة «القاهرة» … وطلبا مقابلة ناظر المحطة … وكان «تختخ» قد وضع خطةً للحديث … فقال لناظر المحطة: لقد وقعت حادثةٌ لقطار البضاعة قرب «أسيوط» … فهل تمَّ إصلاحه؟

الناظر: ولماذا تسأل؟

تختخ: لأن لنا بعض البضائع على هذا القطار.

الناظر: لقد تمَّ إصلاحه منذ أمس، ووصلت بعض عرباته إلى القاهرة فعلًا.

تختخ: هل هي موجودة؟

الناظر: بعضها موجود، وبعضها واصل طريقه إلى «بنها» و«طنطا» و«الإسكندرية».

عندما نطق الناظر باسم «بنها» تبادل «تختخ» و«عاطف» النظرات … لقد كانت استنتاجات «عاطف» صحيحة!

قال «تختخ»: هل نستطيع معرفة أرقام العربات التي غادرت القاهرة؟

أخرج الناظر كشفًا أخذ ينظر فيه، ثم قال: إنها ثماني عشرة عربة ... أرقامها ٥٦١٣، ٣٩٢١١ و...

أخذ «تختخ» يكتب كل الأرقام التي أملاها الناظر، وعندما انتهى من الكتابة شكر الناظر، ثم أسرع يغادر المكتب، وقال «عاطف»: ما هي خطواتنا التالية؟

تختخ: السفر فورًا إلى «بنها»! ولكن سنتصل أولًا بالأصدقاء في «المعادي» لنقول لهم إننا سنسافر ونسألهم عن الأخبار.

ومن مكتب التليفون الذي بالمحطة اتصل «تختخ» بالأصدقاء ... وردَّ «محب» ... قال «تختخ»: سأُسافر أنا و«عاطف» ... و«زنجر» الآن إلى «بنها» ... ولا ندري متى نعود ... داوم الاتصال بالمفتش «سامي»، وإذا وجدتَه أخبِره بما وصلنا إليه، واطلب منه أن يتابع عربات البضاعة التي بهذه الأرقام ...

وأملى «تختخ» الأرقام على «محب» ... ثم سأله: هل اتصل بكم المفتش «أحمد»؟ ...

محب: اتصل ... هناك خمسة أرقام ... وقد فكَّرتُ في التحدُّث إلى أصحاب هذه الأرقام على أني صديق لـ «يوسف» تاجر القطن الذي أفلتَ منا في «الأوتوبيس» ونحن نطارده أثناء انتقاله من «المنيا» إلى «أسيوط»؛ لعلي أعرف من بينها التليفون الخاص بالعصابة ... المشكلة أنني لا أتذكَّر صوته تمامًا!

تختخ: فكرة عظيمة ... نَفِّذها فورًا، وسأتصل بك كلما أمكنني ذلك.

أرقام وأرقام

ركب «تختخ» و«عاطف» و«زنجر» بعد أن حصلا على تصريحٍ خاص بركوبه معهما القطار الذاهب إلى «الإسكندرية»، والمقرَّر وقوفه في «بنها» ... كان «تختخ» قد جلس بجوار النافذة يتأمَّل الريف الأخضر ... ولكن رأسه كان مشغولًا بالتفكير في هذه المغامرة العجيبة، هل يصل في الوقت المناسب، أو تحس به العصابة وتفلت إلى الأبد؟ وكان «عاطف» يجلس قبالته ... وأمامهما «زنجر» ... يجلس هادئًا ... ينظر بين لحظة وأخرى إلى «تختخ» ... فيراه مستغرقًا في التفكير فيلعق فمه بلسانه، ثم يهز ذيله ويستمر في صمته.

في هذه الأثناء ... كان «محب» في «المعادي» ... يتصل بالأرقام الخمسة التي أملاها عليه المفتش «أحمد» من «أسيوط». كان الرقم الأول لأحد الأطباء الذي قال إنه لا يعرف أحدًا باسم «يوسف»، وإن كان بعض مرضاه يحمل هذا الاسم، ولكن لا يذكر حالته بالضبط.

واتصل «محب» بالرقم الثاني، وردَّت سيدة، فقال: هل «يوسف» موجود؟ ... أنا صديقه «حسين». وقالت إن زوجها يُدعى «يوسف» ... ولكنها صرخت في «محب»: هذا ليس صوت «حسين» صديق زوجي! إنك شخص سخيف مزعج ... ووضع «محب» السمَّاعة معتذرًا.

وأدار قرص التليفون بالرقم الثالث، وكان المتحدِّث طفلًا صغيرًا قال لـ «محب»: تريد عمي «يوسف»؟

قال «محب»: هل هو موجود؟

الطفل: إنه كان موجودًا، ولكنه خرج منذ ساعتَين لإنهاء بعض الأعمال ... وربما يعود إلينا غدًا.

وشكره «محب»، ووضع السمَّاعة قائلًا لـ «نوسة» و«لوزة»: يبدو أن الأرقام التي طلبتُها ليست لها علاقة بالعصابة ... وأغلب الظن أن أحد الرقمَين الباقيَين هو في مقر العصابة، ويجب أن نكون على حذر.

وأدار قرص التليفون بالرقم الرابع، ورد صوت خشن: ألو ... من المتحدِّث؟

ردَّ «محب»: هل «يوسف» موجود؟

مرَّت لحظة صمت وقلب «محب» يدق سريعًا، ثم سمع الصوتَ الخشن يقول: «يوسف» من؟

كان ذهن «محب» يعمل بسرعة حتى لا يكتشفه الرجل.

محب: ألَا تعرفني؟

مرةً أخرى ساد الصمت لحظات، ثم قال الرجل: إنني لا أعرفك ولا أعرف أحدًا اسمه «يوسف»، ثم وضع السماعة.

قال «محب»: هذا الرقم أظن أنه رقم العصابة ... إن الرجل كان يتحدَّث بحذر شديد ... ولكن لنتصل بالرقم الخامس.

ومرةً خامسة أدار قرص التليفون ... وردَّ صوت يلهث: ألو ... من؟

ردَّ «محب» وهو يجتهد أن يكون ثابتًا: هل «يوسف» موجود؟

مرَّت لحظة صمت خفق لها قلب «محب»، ولكن الصوت عاد مرةً أخرى متردِّدًا وأنفاسه مُتقطِّعة: تريد «يوسف»؟ ... إنني لا أسمعك جيدًا! ...

تنبَّهت أعصاب «محب»؛ فقد أدرك من صوت الرجل اللاهث ... وأنفاسه المتقطِّعة أنه الرجل المصاب فقال: كيف حالك الآن؟

ردَّ الرجل: إنني متعب ... أُحِس أنني سأموت ... يجب أن أُنقَل إلى أحد المستشفيات فورًا!

كان من الواضح أنه يبذل مجهودًا ضخمًا للحديث، فقال «محب»: أليس هناك أحد معك؟

مرةً أخرى عاد الصمت من جديد ... ثم سمع صوتَ الرجل متقطِّعًا لاهثًا: إنني ... إنني ... ثم سمع «محب» صوت السمَّاعة وهي تقع على الأرض ... وساد الصمت ...

ظلَّ «محب» واضعًا سمَّاعة التليفون على أذنه ... ظلَّ الصمت سائدًا، ثم سمع صوت أقدام في الغرفة ... وسمع صوتًا غاضبًا يصيح ... ثم وُضعت السماعة في عنف.

ظلَّ «محب» يُمسك بالسمَّاعة لحظات، ثم وضعها في هدوء وقال: لقد عرفنا رقم العصابة ... ولكن ما هو السبيل لكي نعرف عنوانها؟

لوزة: من دفتر التليفونات.

محب: هذا شِبه مستحيل. إن الدليل وُضع على أساس البحث عن اسم المشترك، لا رقم التليفون، والبحث عن الرقم لمعرفة العنوان يشبه البحث عن إبرةٍ في كومٍ من الرمال! ...

نوسة: والحل؟

محب: الاتصال بالمفتش «سامي» ... إنه يستطيع أن يحصل من هيئة التليفونات على المعلومات اللازمة في دقائق.

وأدار القرص ليتصل بالمفتش.

كان القطار الذي يركبه «تختخ» و«عاطف» و«زنجر» ... قد وصل إلى «بنها». ونزل الثلاثة وأسرعوا إلى ناظر المحطة، ومرةً أخرى زعم «تختخ» أن هناك بضاعةً مرسلةً من «أسوان»، ويريد أن يعرف مصيرها بعد حادث القطار، ثم وضع أمام الناظر أرقام العربات التي حصل عليها من محطة «القاهرة». ونظر المفتش في الأرقام، ثم قارنها بما عنده وقال: هناك ٦ عربات تخلَّفت هنا في «بنها» ... والباقي استمرَّ إلى «طنطا».

تختخ: وأين نجد هذه العربات؟

الناظر: إنها على الخط الميِّت في انتظار تفريغها.

وانصرف الصديقان مسرعَين، وقال «تختخ»: هل عرفتَ معنى الخط الميِّت؟ إنه الخط الذي لا يُستخدم لسير القطارات، ولكن لتخزينها فقط في المحطات، عادةً يكون بعيدًا عن المحطة، وينتهي بجدار من الأسمنت القوي.

وبعد سؤال أحدِ العاملين بالمحطة اتجه الصديقان إلى الخط الميِّت ... وكانت الساعة قد تجاوزت الخامسة مساءً ... واقترب الثلاثة من العربات الواقفة، فقال «عاطف»: ماذا تنتظر أن تجد في عربة البضاعة؟ إنك بالتأكيد لن تجد العصابة تجلس فيها تمص القصب أو تقزقز اللب؟

تختخ: لا ... إنني أتوقَّع شيئًا آخر ...

عاطف: أي شيء؟!

تختخ: ابحث معي عن عربة مفتوحة ومغلقة في الوقت نفسه.

عاطف: هذه نكتة طبعًا؟

تختخ: أبدًا ... إن كل عربة بضاعة تُغلَق بأختام الرصاص ... أو بالشمع الأحمر حتى لا يفتحها إلا الموظَّف المسئول. وستجد هذه العربة مغلقة الباب، ولكن ليس عليها الرصاص.

ووصلا إلى موقف القطار ... وبدأ البحث عن العربة المفقودة، ولكن كانت العربات كلها مغلقةً بأختام الرصاص، ومع ذلك أخذ «تختخ» يدور حول كلٍّ منها، ويضع أذنه

على كل عربة ويستمع ... وكان «زنجر» يتبعهما ويقف عند كل عربة هو الآخر وكأنه يشاركهما البحث.

ولحسن الحظ كان الخط الميِّت بعيدًا ... ولم يكن هناك أحد ... وهكذا أتمَّا المُهمَّة بسرعة ... وقال «تختخ»: هذه عربات بريئة المظهر، وسنذهب إلى «طنطا» فورًا.

وعندما عادا إلى المحطة قال «عاطف»: إلى أي شيء كنت تستمع في هذه العربات؟

ردَّ «تختخ»: إنك لن تصدِّقني إذا قلتُ لك ... ومع ذلك إذا تحقَّق ظني فستكون مفاجأةً كبيرةً لك!

لم تكُن هناك قطارات ذاهبة إلى «طنطا» إلا في السادسة والنصف مساءً ...

فقال «عاطف»: تعالَ نركب «الأوتوبيس» أو سيارة «تاكسي».

تختخ: لكن من الأفضل الانتظار ... إننا نبحث عن عصابةٍ تعمل على عربات السكك الحديدية ... ونحن الآن في محطة سكة حديد ... فلماذا لا تبقى وتنتظر لعلنا نصل إلى شيء؟

عاطف: لقد علمنا كما تذكر أن المفتش «سامي» هنا ... فلماذا لا نبحث عنه؟

تختخ: فكرة ... هيَّا بنا!

ونزلا سلالم المحطة إلى الشارع المزدحم الموازي للمحطة في مدينة «بنها»، ثم سارا إلى مديرية الأمن. وعندما اقتربا من باب المديرية قابلا ضابطًا تذكَّر «تختخ» أنه رآه من قبل مع المفتش «سامي»، فاتجه إليه «تختخ»، وبعد أن سلَّم عليه سأله: هل تذكرني؟ ... لقد التقينا من قبل في مكتب المفتش «سامي»؟

قال الضابط مبتسمًا: نعم أذكرك ... وقد انتقلتُ إلى «بنها» منذ شهور.

تختخ: ألم يكن المفتش «سامي» هنا اليوم؟

الضابط: نعم كان هنا في الصباح ... بعد أن أخطرناه أن بنك مصر فرع «بنها» قد وصلته ورقة نقد مزيَّفة.

تختخ: وهل توصَّلتم إلى شيء؟

الضابط: أبدًا ... ولكنه طلب مني مراقبة جميع محلات البقالة التي بشارع المحطة، وقد ظلِلت أراقبها من الصباح، وأفحص كل الورق من فئة الجنيهات العشرة التي يتقدَّم بها الزبائن ... كما أخطرنا مختلِف المصالح الحكومية ... ولكن حتى الآن لم يظهر شيء!

تختخ: وأنت عائد الآن إلى منزلك؟

الضابط: فعلًا ... لقد انتهت نوبتي، وسيحل محلي أحد الضباط.

تختخ: وهل عاد المفتش «سامي» إلى «القاهرة»؟

الضابط: نعم … منذ ساعتَين تقريبًا.

وتبادلا التحية … وعاد الصديقان و«زنجر» إلى المحطة مرةً أخرى … كان «تختخ» يجلس في بوفيه المحطة وهو يرقب القادمين والرائحين بعينَي الصقر، وقد استغرق في تفكير عميق.

ومضت ساعة … ثم مضت دقائق أخرى، وأعلن الميكروفون وصول القطار الذاهب إلى «طنطا»، فأسرع «عاطف» يشتري التذاكر … وعندما وصل القطار قفزا إليه ومعهما «زنجر»، حيث لا يزال التصريح ساري المفعول.

واستأنف القطار السير … وجلس الصديقان يتحدَّثان ويداعبان «زنجر» حتى وصل القطار إلى محطة «طنطا» … وكانت الساعة قد أشرفت على السابعة والنصف … وبدأ الظلام يهبط.

قال «تختخ» وهما يغادران القطار: إن محطة «طنطا» من أكبر المحطات في مصر؛ لأنها مركز لجميع القطارات الذاهبة إلى مختلِف البلاد في الدلتا … وستكون مُهمَّتنا شاقةً في البحث عن العربات المطلوبة.

عاطف: إننا نبحث عن اثنتَي عشرة عربة.

تختخ: بالضبط!

ومرةً أخرى اتجها إلى ناظر المحطة … وبعد حوار استمرَّ دقيقةً واحدةً قال الرجل: لقد أُفرغ من هذه العربات تِسع، ولم يبقَ سوى ثلاث عربات ستُشَد في قطار البضاعة الذاهب إلى الإسكندرية، وسيتحرَّك بعد نصف ساعة.

وأسرع الصديقان للبحث عن العربات الثلاث … كانت المحطة واسعة، وعشرات القطارات تقف هنا وهناك، وعشرات أخرى تقف مُعطَّلةً عن الحركة؛ لأنها لم تعُد صالحةً للاستعمال. وأخذا ينتقلان من رصيف إلى رصيف … وكان «تختخ» قد حذف كل أرقام العربات التي تخلَّفت في «القاهرة» و«بنها»، أو أُفرغت في «طنطا»، واحتفظ بالأرقام الثلاثة للعربات الذاهبة إلى «الإسكندرية».

مضت نصف ساعة وهبط الظلام تمامًا في المحطة الكبيرة. عندما وصل الصديقان والكلب إلى قطار بضاعة بدأ يتحرَّك. أسرع «تختخ» ينظر إلى العربات … كانت العربات الثلاث مشدودةً إلى بقية القطار الطويل، وكانت جميعها من النوع المغلق، ولم يكن الوقت

يتسع لفحصها ... وقال «تختخ» لـ «عاطف»: هذه عربة مكشوفة مُحمَّلة بالقطن ... اقفِز فورًا ... كان القطار يمشي ببطء مغادرًا المحطة عندما قفز «تختخ» وخلفه «عاطف» ثم «زنجر» إلى العربة، واختبأ الثلاثة بين بالات القطن الضخمة حتى لا يراهم أحد ... وبعد لحظات كان القطار يغادر المحطة، وينطلق بين المزارع في الظلام.

قال «تختخ»: يجب أن نبدأ فورًا.

عاطف: ماذا تفعل؟

تختخ: سأذهب إلى العربات الثلاث!

عاطف: كيف؟

تختخ: على السطح. إن في ذهني فكرةً مُعيَّنة ... انتظر أنت هنا مع «زنجر» وتوقَّع صيحة «البومة» مني ... وحاوِل أن تسمع؛ لأن صوت القطار أعلى من صوتي.

ثم قفز ... بخفة لا تتناسب مع سمنته ... وتسلَّق بالات القطن، ثم وقف قرب طرف العربة ... وتمالك توازنه لحظات، ثم قفز إلى العربة التالية ... ومنها إلى التي تليها ... كان «تختخ» يحبو حتى لا يراه أحد ...

وعندما وصل إلى أول عربة من العربات الثلاث قفز بهدوء على سطحها ... كان يريد ألَّا يُحدِث صوتًا يلفت إليه الانتباه ... ونام «تختخ» فوق العربة وأخذ ينصت ... ثم غادرها بخفة وهدوء إلى العربة التالية ... ونام مرةً أخرى على السطح، ووضع أذنه وأخذ يتصنَّت ... ثم جلس وقد علت وجهه سمات الخطورة ... فقد عثر على ما كان يبحث عنه ... وعاد مسرعًا إلى حيث كان «عاطف» و«زنجر» وقال: العصابة!

الخطة الجهنمية

تحرَّك الثلاثة معًا بالطريقة نفسها ... القفز على سطح العربات والزحف عليها، حتى وصلوا إلى العربة المقصودة، فقال «تختخ»: ضَع أذنك على السطح واستمع.

ونام «عاطف» واستمع ... وكم كانت دهشته عندما سمع صوتًا منتظمًا كصوت ماكينة تدور! فقال لـ «تختخ»: ما هذا؟!

تختخ: إنه صوت مكنة طباعة النقود ... إنها خطة جهنمية لا يمكن أن يتصوَّرها أحد ... وبدلًا من أن يَبقَوا في مكان واحد يمكن مراقبته أو الشك فيه، استأجروا هذه العربة ووضعوا فيها مكنة التزييف، وهم يقومون بالطبع في أثناء حركة القطار، فتُغطِّي على صوت المكنة، ثم يتوقَّفون في المحطات، ويذهب أحدهم لتوزيع النقود التي طبعوها على عملائهم في مختلِف الأماكن.

عاطف: شيء غير معقول! وكيف يدخلون العربة المغلقة؟ ...

تختخ: مسألة سهلة بالنسبة لعصابة مثل هذه؛ إنهم يتسلَّلون ليلًا إلى العربة!

عاطف: عليك أن تتصل بالشرطة، ولكن كيف؟

تختخ: إن هذا القطار سيقف في «دمنهور»، وهناك نستطيع أن نتصرَّف.

وبدأ الصديقان يعودان ... ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان، فعندما وقف «تختخ» ليقفز من العربة إلى العربة التالية ... وكان «عاطف» و«زنجر» قد سبقاه. فقد توازنه ... وكاد يسقط في الفراغ بين العربتَين ... ولكنه استطاع في آخر لحظة أن يتراجع إلى الخلف ويسقط فوق العربة محدثًا صوتًا مُدَوِّيًا ...

سقط «تختخ» على ظهره، وأحسَّ بألم هائل في كل جسده ... ولكن الألم لم يكن مُهمًّا بالنسبة له، كان ما يُهمُّه حقًّا هو ما يحدث في اللحظة التالية، وكان توقُّعه صحيحًا ... فقد سمع باب العربة يُفتح ... ثم سمع أصواتًا خافتة ... ثم شاهد يدَين تتعلَّقان بسقف

العربية، ووجه يُطل عليه ... وكانت مفاجأةً رهيبة ... فلم يكن هذا الوجه إلا وجه «يوسف» تاجر القطن الذي التقى به في مديرية الأمن بـ «أسيوط»!

كانت اللحظات التالية حاسمة ... فحاول «تختخ» النهوض سريعًا، ولكن ساقه التي سقط عليها كانت تؤلمه ... حاول مرةً أخرى ... على حين كان «يوسف» يعتمد على ذراعَيه صاعدًا إلى سطح العربة وهو يطلب من زملائه أن يصعدوا إليه.

وقف «تختخ» في النهاية ... وأسرع يقفز إلى سطح العربة التالية في الاتجاه المضاد الذي به «عاطف» و«زنجر»، وكان «يوسف» قد استطاع الصعود إلى سطح القطار، وبدأت المطاردة ... «تختخ» يجرى و«يوسف» خلفه ... يقفزان إلى العربات ... وكان «تختخ» يعلم أنه في النهاية لا بد أن يواجه «يوسف» ... فقد كان في اتجاه ذيل القطار وستنتهي العربات ... وهكذا بعد أن قفز ثلاث عربات وقف على طرف العربة قبل أن يقفز إليها «يوسف»، وكان بينهما الفاصل الذي بين العربتين، وأدرك «يوسف» خطة «تختخ»؛ فإنه إذا حاول القفز في إمكان «تختخ» أن يدفعه فيسقط بين العربتَين.

ووقفا ... يواجه أحدهما الآخر والقطار يمضي في الليل مُطلِقًا صفيره بين فترة وأخرى.

ووصل شخص آخر من العصابة ... وفي هذه المرة كان الموقف خطيرًا ... فقد كان معه مسدس أخرجه وشاهده «تختخ» على الأضواء البعيدة، وأدرك أنه في موقف حرج ... وصاح الرجل وهو يهز مسدسه: استسلم وإلا أطلقتُ النار!

ووقف «تختخ» صامتًا يفكِّر ... وصاح «يوسف»: هل معك أحد؟ هل يعرف رجال الشرطة أنك هنا؟

ولم يردَّ تختخ ... وشاهد الرجل يرفع يده بالمسدس ويصوِّب ... ولكن قبل أن تنطلق الرصاصة ... قفز شيء مجهول على الرجل كالصاعقة ... كان «زنجر»، وفقد الرجل توازنه ... وسقط من فوق القطار ... ولم يُضيِّع «تختخ» وقتًا ... فقد قفز إلى حيث كان «يوسف» يقف ... وكان «زنجر» يهم بالوثوب عليه ... والتحم «تختخ» و«يوسف» في صراع عنيف، والقطار يمضي مهتزًّا فوق القضبان ... كان كلٌّ منهما يحاول إسقاط الآخر ... واستطاع «يوسف» أن يوقع «تختخ» على حافة السطح، وأخذ يحاول قذفه من فوق العربة، ولكن «زنجر» تدخَّل مرةً أخرى وأمسك بذراعه بين أسنانه القوية، وصرخ «يوسف»، ووصل في الوقت نفسه «عاطف»، ولم يكن أمام «يوسف» إلا الجري، فأخذ يجري كالمجنون في اتجاه العربة، و«تختخ» و«عاطف» و«زنجر» يتبعونه ... وكان «زنجر» أسرعهم؛ فقد وصل إلى «يوسف» وقفز عليه؛ فاختل توازنه وسقط هو الآخر من فوق القطار.

قال «تختخ» وهو يلهث: لقد نسينا شيئًا هامًّا ... إن في كل قطار بضاعة عربة أخيرة فيها حرس ... تعالَ نذهب إليهم فورًا!

وأخذ الصديقان يقفزان العربات و«زنجر» خلفهما ... حتى وصلا إلى العربة الأخيرة، ووجدا لحسن الحظ أن نصفها مكشوف ... وببراعة نزلا إليها ... ووجدا شرطيًّا جالسًا في مكانه ... وقد وضع بندقيَّته بين ساقَيه، وعندما شاهدهما الشرطي أصابَته دهشة بالغة ... وأخذ ينظر إليهما وكأنهما شبحان نزلا من السماء ... ولكن «تختخ» قال: اطمئن، لسنا لصوص قطارات، إننا نساعد العدالة.

الشرطي: ما الذي جاء بكما إلى هنا؟

تختخ: إننا نطارد عصابةً من مُزيِّفي النقود!

الشرطي: أنتما؟!

تختخ: نعم ... ونحن أصدقاء للمفتش «سامي» ... هل تسمع عنه؟

الشرطي: لقد رأيته اليوم صباحًا في «بنها» ... كان يُعِد كمينًا لعصابةٍ من مُزيِّفي النقود ...

تختخ: إنها العصابة نفسها التي نطاردها ... وقد سقط اثنان منها من القطار، وهما بالقطع لن يستطيعا الحركة، والباقون في إحدى عربات القطار ولا نعرف عددهم.

الشرطي: سآتي معكم ... ولكن كيف نهبط إلى العربة؟ إننا سنكون صيدًا سهلًا!

تختخ: سننتظر حتى نصل إلى «دمنهور».

عاطف: قد يفر الباقون بمجرَّد الوصول إلى هناك!

الشرطي: تذكَّرتُ شيئًا ... بعد مسافة قصيرة هناك إصلاح في الطريق، وسيُضطر القطار إلى الإبطاء ... وقد يتوقَّف تمامًا ... وفي هذه الحالة يمكن الهجوم عليهم.

تختخ: عظيم ... هذه فكرة ممتازة.

وجلسوا يتحدَّثون ... وشرح «تختخ» للشرطي الحوادث التي مرُّوا بها حتى وصولهم إلى القطار، فقال الرجل: لقد بذلتم مجهودًا عظيمًا!

وفي تلك اللحظة بدأ القطار يهدِّئ من سرعته ... وعندما أصبحت السرعة مناسبةً قفزوا من العربة، وأخذوا يسيرون بجوار القطار إلى أن عثروا على العربة، وكان القطار قد توقَّف تمامًا، ورفع الشرطي بندقيَّته ... وهجموا على العربة ... ولم يكونوا في حاجةٍ إلى إطلاق الرصاص ... فلم يكن هناك سوى رجلٍ واحد يقف مذهولًا في انتظار عودة زميلَيه اللذَين صعدا إلى سطح القطار ... ولم يكن يدري أنهما سقطا على الأرض ... ولم يكَد يرى بندقيَّة الشرطي حتى رفع ذراعَيه إلى أعلى.

صعد «تختخ» والشرطي و«عاطف» و«زنجر» إلى العربة ... وكما توقَّع «تختخ» تمامًا ... كانت المطبعة في وسط العربة وهي تدار باليد، وكان بجوارها حقيبة حُشيت بأوراق النقد المزيَّفة ...

قال «تختخ»: أين زعيم العصابة؟

الرجل: لا أعرف ...

تختخ: إنني رأيته في «الفيلا» المهجورة في «المعادي» ... وسوف يعترف زملاؤك!

الرجل: ولن يعترفوا عليه ... لسبب بسيط؛ هو أن أحدًا منا لا يعرفه مطلقًا، ولم نرَه أبدًا. وكنا نتلقَّى التعليمات منه بواسطة التليفون أو بواسطة «حسني» ... أمَّا من شاهدتَ في «الفيلا» المهجورة فهو «حسني» وليس الزعيم!

تختخ: وأين «حسني»؟

الرجل: إنه الشخص المصاب ... وهو الوحيد الذي كان يعرف الزعيم ... ويعرف مكانه، ولا أحد غيره يمكن أن يفيدك.

تختخ: ومتى فكَّرتم في وضع المطبعة في القطار؟

الرجل: بعد أن هاجمَنا رجال الشرطة في «المعادي» ... لقد انتقلنا إلى أكثر من مكان، ثم فكَّر الزعيم في هذه الخطة ... وكنا نستأجر عربةً ونُدخل المطبعة فيها داخل صندوق ... وكان يساعدنا أحد أفراد العصابة وهو يعمل في السكة الحديد.

سارت الأمور ببساطة ... فعندما وصل القطار إلى محطة «دمنهور»، أسرع «تختخ» بإبلاغ الشرطة، على حين بقي الشرطي يحرس الرجل. وسرعان ما كانت خطوط التليفونات تحمل إلى المفتش «سامي» كل المعلومات ... وسرعان ما كانت قوات الشرطة تقبض على الرجلَين الجريحَين بجوار شريط القطار ... ثم تحدَّث المفتش إلى «تختخ» وهنَّأه بفكرته المدهشة ... ولكن «تختخ» قال: الواقع أن سبب القبض على العصابة هو نكتة أطلقها «عاطف»!

المفتش: لقد أوصيتُ أن تركبوا سيارةً خاصةً ستحملكم إلى «المعادي» ... وغدًا صباحًا نجتمع في حديقة منزل «عاطف» لتبادل الحديث.

في صباح اليوم التالي اجتمع الأصدقاء، وروى كلٌّ منهم ما حدث له ... ثم وصل المفتش «سامي» ... فسلَّم على المغامرين الخمسة، ومسح رأس «زنجر» بعد أن روى له «تختخ» دور «زنجر» الهام في القبض على العصابة ...

قال المفتش: عندما عُدت أبلغني «محب» برقم التليفون الذي له صلة بالعصابة، وهو في مقر الزعيم، وقد استطعتُ معرفة العنوان ... ولكن عندما وصلنا إلى هناك لم نجد سوى

الرجل المصاب ... كانت حالته في غاية السوء ... وكان من الصعب استجوابه؛ فقد قال الطبيب إن أي مجهود سيبذله سيقضي عليه ... وقد نقلناه إلى المستشفى.

تختخ: إنه الرجل الوحيد الذي يعرف زعيم عصابة التزييف، ويجب أن تحصلوا منه على معلومات تمكِّنكم من القبض عليه ... وإلا اختفى الزعيم مرةً أخرى!

ولم يكَد «تختخ» ينتهي من كلامه حتى جاءت الشغَّالة تحمل التليفون قائلة: هناك مكالمة لسيادة المفتش.

قال المفتش وهو يمسك السمَّاعة: لقد تركت رقم تليفون «عاطف» في مكتبي للاتصال بي عند الحاجة!

ووضع المفتش السمَّاعة على أذنه وأخذ يستمع وهو يهز رأسه ... ومضت مدة طويلة وهو يستمع، وعندما وضع السمَّاعة كانت تبدو عليه علامات التفكير العميق ...

واحترم الأصدقاء صمته فلم يتحدَّث أحد، ثم قال المفتش أخيرًا: لقد مات الرجل وأخذ معه سره ... سر الزعيم!

وهزَّ «تختخ» رأسه قائلًا: إن هذا الزعيم المِفلات يُشبه الزئبق ولا يمكن إمساكه!

قال المفتش: ولكن الرجل وهو يَهذي تلفَّظ ببضع كلمات يبدو أنها تتعلَّق بالزعيم ...

وانتبه الأصدقاء ... وقال المفتش: إن الكلمات التي قالها ... لقد خنتني ... وأنت الآن تتركني أموت على حين تتمتَّع بكل شيء ... وتسافر إلى كل مكان في الدنيا ... سيارات ... طائرات.

وسكت المفتش لحظات، ثم قال: هناك تسجيل كامل بكل ما قاله، ولعلنا نجد في كلماته ما يدلنا على مكان الزعيم.

عاطف: من الواضح ممَّا سمعنا أنه رجل ثري جدًّا.

المفتش: طبعًا!

تختخ: على كل حال لنا جولة ثالثة مع هذا الزعيم الزئبقي ... ونَعِدك يا حضرة المفتش ألَّا يُفلت هذه المرة.

محب: ما أغرب المغامرات والألغاز! ... في لغز «كلب البحر» قبضنا على الزعيم وهربت العصابة ...

وأكملت «نوسة»: وفي هذه المرة قبضنا على العصابة ... وهرب الزعيم ...

قال «محب»: ولكن مهما استطاع الاختفاء ... فلن يختفي إلى الأبد ... إن المجرم لا بد أن يترك أثرًا يدل عليه ... وقد نجد في التسجيل ما يكفي لمعرفته أو متابعته.

تختخ: دعونا نأمل هذا.

لوزة: المهم أن أمامنا لغزًا آخر.

وصافحهم المفتش، ثم غادرهم وركب سيارته، ورفعوا أيديهم تحيةً له ... ورفع «زنجر» ذيله مشتركًا في التحية ...

